

من المسرح العالمي

القصة المزروعة للدكتور بالمى

سأليف : انطونيو بويرو بايخو
ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل
مراجعة : د. محمود مكي

مكتبات مكتبة العرب

www.libraray4arab.com/vb

مسلسلة
من
المسرح العالمي

مسلسلة يشرف عليها
أحمد مشهور، شامي العدواني

المراسلات باسم :

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب: ١٩٣

منتديات مكتبة العرب

<http://www.library4arab.com>

منتديات مكتبة العرب

<http://www.library4arab.com>

من المسح العالمي

أول أبريل ١٩٧٤

شهرية

٥٥

القصة المزدوجة للدكتور بالمى

تأليف : انطونيوبويروبايخو
ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل
مراجعة : د. محمود مكي

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

منتديات مكتبة العرب

<http://www.library4arab.com>

مقدمة بقلم المترجم

ما قبل الحرب الأهلية :

كانت الحرب الأهلية التي عانت اسبانيا ضراوتها ابان العقد الرابع من هذا القرن (١٩٣٦ - ١٩٣٩) حدا فاصلا بين مرحلتين متميزتين تماما لا من الناحية السياسية فقط وانما من وجهة النظر الفكرية والثقافية بصفة عامة والادبية على وجه الخصوص . ذلك أن هذه الحرب لم تكن مجرد اشتباك عسكري فرضه الساسة أو أملت طبيعة المناورات بين الحكومة والمعارضة ، وانما كان قمة فوران اجتماعي وغليان فكري استحال فيه المعاشة السلمية بين القوى الاشتراكية التي اتسمت بالارتجال والتطرف وأنصار النزعة المحافظة الذين تضافرت قواهم مع كثير من العوامل التاريخية في الداخل والخارج لتحويل مجرى التطور لصالحهم .

والذي يعنينا هنا هو أن نبرز بعض الملامح الأساسية لقسمات المسرح الاسباني في فترة ما قبل الحرب حتى ندرك الجذور التي يمتد اليها مسرح اليوم والتيارات التي يتغذى منها ، خاصة وأن ما يعرفه القارئ العربي عن هذه الحقبة محدود حتى الآن لا يكاد يتجاوز بعض المؤلفين ، ومنهم من تنسبنا عبقه بفضل بخور السياسة التي لولا احتراقه بنارها لما أصبح أسطورة مأساوية في وجدان الفن المعاصر ، وأقصد به جاريثا لوركا ، فلم يكن هذا الشاب الشاحب الذي هزت نهايته الفاجعة الضمير العالمي نبتة شيطانية في حقل أدب مجذب وانما كان عودا أخضر في شجرة باسقة أثمرت أجمل عطائها في موسمين مفعمين بالخصب والحياة ، أولهما في عصرها الذهبي الذي امتد خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر حتى نهاية الذي يليه والذي تربعت على عرشه ثلاث قمم في الأدب العالمي ، « سر فانتس » صاحب « دون كيخوته » ومعجزة المسرح الاسباني الذي لقب بالعنقاء « لوبى دى بيجا » ثم « كالرون دى لباركا » المؤلف المأساوى العميق الذي عاصر شكسبير وطفى عليه في بعض البلدان الاوربية المجاورة تأثيرا وأهمية .

اما الموسم الثاني فقد بدأ مع الجيل الذى تتلمذ عليه لوركا والذي اتخذ من عام ١٨٩٨ - الذى وصل فيه الجزر السياسي والعسكري لاسبانيا الى مداه - نقطة انطلاق لمرحلة أخرى من المد الثقافي والأدبي . من أعلام هذا الجيل الذى سمي بجيل الثمانية والتسعين يهمننا بصفة خاصة مؤلفو المسرح الذين تدين لهم طليعة الكتاب **منتديات المكتبة لا في نطاق** اسبانيا وأمريكا اللاتينية وحدهما ، وانما على الصعيد الاوربي أيضا .

وهناك ظاهرة طريفة لا تخلو من دلالة في هذا الصدد ، وهى أن كلا من الكاتبين المسرحيين اللذين توجت أعمالهما بجائزة نوبل الادبية ، أحدهما - هو تشييجاراي (١٨٣٢ - ١٩١٦) حصل عليها سنة ١٩٠٤ ، والثاني - هو بينا بينتي (١٨٦٦ - ١٩٥٤) وقد حصل عليها اوائل العقد الثالث (١٩٢٢) ، كان كلاهما كاتباً تقليدياً ليس له من فضل على الحياة الادبية الا تثبيت دعائم المسرح الذى يعتمد على « نجارة » محكمة - كما يقولون بالاسبانية - دون أن يمس سلم القيم البرجوازية الراسخة .

اما أسانذة الطليعة فقد عاشوا غرباء وماتوا وهم يشعرون بأنهم ربما كانوا قد ولدوا في غير زمانهم او انهم كانوا يحاورون جمهوراً أصم ، وفي مقدمة هؤلاء نجد « بايى انكلان » (١٨٦٩ - ١٩٣٦) الكاتب الاسطورى الذى حطم قواعد العرف الادبي السائدة بتجاربه القصصية الجريئة أولاً ثم بأعماله المسرحية التى لا يزال المخرجون في حيرة من أمرها لما تحتاجه من جهد جبار بالرغم من تقدم الوسائل المسرحية فيما يتصل بإمكانيات العرض وادوات الاخراج . وبالنسبة للقصة يكفيننا مثال واحد لنعرف منه مدى عمق التحول الذى فرضه « بايى انكلان » على المفاهيم الفنية في عصره ، فتمودج « دون خوان » الذى قدمه الادب الاسباني الى كل الآداب العالمية يعتمد جوهرياً على خصائص أصيلة في تكوين شخصية البطل أهمها : انه وسيم يتخذ من ذلك شركاً يوقع به ضحاياه من العذارى ، ، وثانيها أنه لا يعبأ بالدين ولا يقيم لتعاليمه وزناً في سلوكه ، وثالثها نوع من الحصانة العاطفية التى تجعله بمنجى من الاشفاق على من يرتمين في أحضانه ، فهذه هي قواعد اللعبة ، اغراء وايقاع ثم هجر وبحث عن صيد جديد ، ويأتى « بايى انكلان » ليقدم لنا من رباعيته القصصية الشهيرة البطل النقيض لكل ذلك ، فهو قبيح وكاثوليكي وعاطفي ، ولكنه بالرغم من ذلك نموذج من أقوى واغذب واصدق ما عرف من سلالة الدون خوان .

وفي المسرح كتب « بايى انكلان » أولاً بالشعر ، فقد كانت هذه هي اللغة التى لا بد من استخدامها على خشبة المسرح ، فقدم تجارب تاريخية ذات طابع مأساوى عنيف ، ثم ما لبث أن بدأ مرحلة أخرى بالثلاثية النثرية **الكوميديا البربرية** والتى تشمل **نسرالعصا** و **ذو الوجه الفضي** و **انشودة الذئب** ، وقد ركز فيها على بقايا الاقطاع في المجتمع الاسباني مبرزاً تناقضاته الداخلية ومتسماً بلون واضح من التمرد والنقد العنيف ، وذلك في اطار شكل مسرحي ناضج ، وان كان يقدم صعوبات كثيرة بحريته وكسره للواحدت التقليدية ، اذ يعتمد على لوحات خاطفة تحتاج الى سرعة سينمائية ، لكنه يحفر شخصياته بعمق ويعرض خصائصها بقوة . وفي نفس هذا الخط نجد مسرحيته الرهيبة **الكلمات الالهية** التى تتابع موكبا من الشحاذين في رحلة الحج والضياح ، والتى يستقطب فيها شحنات انسانية ومأساوية على نفس المستوى الذى نجده مثلاً في الحضيض لجوركي .

ثم يتطور فيه هذا التمرد الى ثورة أصيلة خلال مرحلته الطليعية الحاسمة التى يتدع فيها قواعده الجمالية الخاصة به ، نابعة من تجاربه في سلسلته المسرحية

الآخيرة التي أطلق عليها « الشنيع المحال » والتي ترك فيها جانباً الموضوعات التاريخية والمجتمع الإقطاعي ليكشف عن الوجه الحقيقي القبيح ، المزيج والمضحك معاً لإنسان المدينة ، خاصة الإسبانية في مطلع هذا القرن . قمة هذه الحلقة أضواء بوهيمية تسخر بمرارة مرهفة من فساد الحياة السياسية والفكرية إذ تعرض لنا مغامرات شاعر بوهيمي أعمى لا يذهب مع الناس إلى « حارة القفط » بمدريد حيث يتسلى برؤية المرايا المقعرة والمحدبة ولكنه يتحول هو نفسه إلى مرآة ينعكس عليها عبث الحياة في عصره الذي يلهو به ثم يتركه فتاتاً في نهاية المطاف .

ولم تنج ملكة إسبانيا على عهده « إيزابيلا الثانية » من قلمه الحاد ، حيث لسعها بلاذع نقده ، واصفاً إياها في إحدى مسرحياته « بالبغلة الشبقة » التي تعبت بمصائر البلاد . هذه الحدة في مسرح « بايئى انكلان » لم تترك لأعماله سبيلاً لرؤية النور على المسارح ، واستراح أهل الفن إلى رأى تقليدى عن مسرحه ، هو أنه قد وضع للقراءة ، ولا يصلح للعرض . وما زالت هذه هي التهمة التي توجه إلى أعماله حتى الآن عندما لا تجرؤ المسارح على ما فيها من عرى وعنف ويقيم طليعية أصيلة . ولكن التجارب التي قام بها في السنوات الأخيرة بعض الشبان المخرجين قد أثبتت أن مسرح هذا المؤلف هو الإضافة الحقيقية التي كان يوسع إسبانيلاً أن تقدمها إلى أوروبا في الثلث الأول من هذا القرن وأن التدرع بأن الجمهور قاصر وغير مهياً له لم يؤد فقط إلى حرمان عامة الناس من هذه الجرعة التجريبية وإنما أدى إلى هضم حق المؤلف نفسه ، فقد عرضت بعض أعماله منذ سنوات قليلة في لندن ، وخرج النقاد يشيدون بما فيها من خلق فني وعرق مسرحي ، لولا أنه يقلد بعض أعال لوركا ، وقد فاتهم أن « بايئى انكلان » كان قد كتب هذه الأعمال بينما لا يزال لوركا طفلاً في المهد ، وأنه هو الأستاذ الحقيقي الذي تعلم لوركا على يديه فن المأساة الاجتماعية الثائرة ، ثم أثره بعقريته الشاعرة .

وهناك شخصية ثانية من كتاب ما قبل الحرب الأهلية أحب أن أشير إليها في هذه العجالة ، وهي شخصية مفكر إسباني رائد مارس كل الأشكال الأدبية ، القصة والمقال والمسرح ، وتميز فيها كلها بطابعه الشخصي الأصيل وهو « آونا مونو » (١٨٦٤ - ١٩٣٦) الذي كان بالرغم من شخصيته « الأكاديمية » الجبارة - إذ يعد أعظم مدير تولى جامعة سلنقة - كان مؤسس التيار الوجودى في الفكر الإسباني المعاصر وكان نموذجاً للمثقف المعذب بضميره الأدبي ووجدانه القومي معاً ، وكتابه « الشعور المأساوى بالحياة » يعكس ازمتة الوجودية التي كادت أن تقتله كما أن عبارته الشهيرة « توجعني إسبانيا » تدلنا على مدى تمثله وتمثيله لهذا الوجدان القومي .

وقد شغلت بعض القضايا الفكرية معظم أعماله المسرحية التي تتسم بالطابع التجريدى البحت ، ومن أهمها مشكلة « ازدواج الشخصية » التي بلغت قمته في مسرح « بيبير اندللو » ثم وجدت تعبيراً قوياً عنها في واحدة من أهم أعمال « أونامونو »

«وهي الآخر . وكذلك قضية الزعامة بين المثالية والواقع ، التي تناولها اونامونو في اكثر من مسرحية موجهة نقده الحاد النفاذ لمفهوم الزعامة كما يتمثل في المجتمعات الحديثة مستلهما في ذلك روح « ايسن » في **عدو الشعب** وكتب صيغة جديدة لمسرحية فيدرا الكلاسيكية .

وأهم ما يبقى من مسرحه ، هو هذه النزعة التجريبية التي تعتمد على التخطيط البسيط العارى في البناء الفني ، والعمق الوجودى الزاخر في المضمون الفكرى ، ولانه لم يكن « نجارا » بالمفهوم التقليدى للصناعة المسرحية لم تعرض أعماله الا على المسارح الجامعية . وان كان التيار الذى خلفه بكتابات القصصية ومقالاته الاخرى قد جعل منه استاذاً غير منازع للجيل الحالي من المثقفين في اسبانيا .

ولم يكن لوركا (١٨٩٨ - ١٩٣٦) ينتمي الى جيل الثمانية والتسعين الا بمولده ، ولكنه انضم اليهم في رحلة الوداع ، عندما وضعت الحرب حدا لتجاربه الواعدة ، وشاعريته المتألقة ، وروحه المأساوى الاصيل ، وليس لي في هذه المقدمة السريعة أن اتعرض لأعماله بالتفصيل فهو يوشك أن يكون الكاتب الوحيد الذى حظى بالتعريف لدى القارئ العربى ولكن يكفيني أن أشير الى أن النشاط المسرحي الذى استغرق عليه كل حواسه في السنين الاخيرة لم يكن هو « الحب الأول » له في دنيا الفن وانما سبقته هواية الموسيقى درسا وتأليفاً - ومن هنا كان اعجابه الشديد بموسيقار اسبانيا « مانويل دى فايلا - ثم جولاته في دنيا الشعر الغنائي واكتشافاته في القصائد السيريالية ، ولذلك لابد من دراسة مفاتيحه الموسيقية والغنائية لمعرفة مدى كثافة رموزه الدراسية وثناء شخصياته ، ثم يأتي بعد ذلك ارتباطه بفرنطة عروس الاندلس بعبقها العربى وحمرائها الخالدة وأساطيرها المحببة وعجربا الرحالين ، والارتباط بالأرض من أهم محاور لوركا الدرامية واغزرها دلالة . على ان أروع اعماله هو ما لم يتخط مرحلة التخطيط ، ما شرع فيه ولم يتمه ، الثلاثية المأساوية التى كان بصدد وضعها عن المشكلة الاجتماعية بعد ان أتم الدورة التراجيدية المرتبطة بالأرض : **عرس الدم - يرما - بيت برنارد البا** ، ولكن القدر لم يمهله حتى يقدم كل عطائه ويقول بقية كلمته بالرغم من ان حفنة المسرحيات التى تركها زودت هذا العصر الذهبى الثانى للأدب الاسباني بدفقة من شباب العبقري انتزعته من النطاق الاقليمي الذى حوصر فيه بظلم وارتفعت به الى ذرا الآداب العالمية المعاصرة .

مسرح الهروب :

اصبح الطابع الغالب على المسرح الاسباني بعد الحرب الاهلية وطيلة العقد الخامس من هذا القرن هو الهروب بشقيه المادى والمعنوى . اما الهروب المادى فقد تمثل في هجرة بقايا الكتاب الواعين بمسئولياتهم الفنية الى أمريكا اللاتينية بعيدا عن ضجيج الطبول التى أعلنتها الجيوش المنتصرة . ونذكر من أهم هؤلاء المهاجرين اثنين على وجه التحديد ، هما أليخاندر كاسونا وماكس أوب .

اما الاول فيعني على وجه الخصوص ان أشير الى التيار الانساني الذي
تزرخ به أعماله والى الصراع « الايديولوجي » الذي اختتم به حياته . وذلك انه منذ
أن كتب كاسونا (١٩٢٥) « صديقتنا ناتاشا » وقدم فيها تجربة حية تعتمد على
لون من الاشتراكية التربوية وهو يدرج في عداد كتاب اليسار ، الا ان أول عمل لمع
به اسمه في عالم الادب وأجيز عليه من الدولة هو **الحورية الهاربة** يحمل حتى
في عنوانه بذور نزعة أخرى تتلفع بالشعر وتحتمي بالمثالية وان لم تنجح في اخفاء
حقيقتها الواضحة وهي انها هاربة تضرب في متاهات غيبية ، تتلاشى فيها الحدود
الفاصلة بين الحكم والواقع ، وهي نزعة عميقة الاصاله في الادب الاسباني كله منذ أن
وضع كالدرون دي لا باركا اساسها الفلسفي في مسرحيته **الحياة حلم** ، ولا يمكن
تجاهل ما فيها من ثراء انساني يضيف الى الواقع الملموس رؤى النفس الحية
ومشاهد الضمير الداخلية ، الا ان الظروف التي كتب فيها كاسونا أعماله هذه
كانت تدعو الى نوع من الالتزام بقضايا مجتمع منكس ، قد أجهضت فيه طلائع
الارهاصات الثورية ، بيد أنه ترك وطنه يلحق جراحه واخذ يتناول قضايا تجريدية
مثل مشكلة الشر والندم واغراء الشيطان العتيد في مركب بلا صياد ، والموت وعذوبته
الشعرية وحكمة الاقدار التي تذكرنا بمثلنا الشهير « لو اطلعت على الغيب لاخترتم
الواقع في سيدة **الفجر** والخيانات الزوجية البتدلة على الطريقة البرجوازية في
ثلاث زوجات كاملات ، الا ان اقامته في المهجر كالانبياء الذين لا كرامة لهم في أوطانهم
وذيوع صيته في الاوساط الادبية العالمية قد عقد حوله هالة من التقدير الخاص في
اسبانيا حتى بين منقفي اليسار ، الذين سرعان ما أعلنوا خيبة أملهم فيه عند مودته
الى وطنه سنة ١٩٥٧ ، لا لانهم أخذوا عليه مهادنته للنظام القائم ، فهم أنفسهم
كانوا ولا يزالون يعيشون في ظله ، وانما لسبب آخر أخطر من ذلك ، وهو أنهم
تبينوا على حين غرة - وكأن الظروف كانت قد ألهمتهم عن هذه الحقيقة - انه بحكم
طبيعة مسرحه الهروبي الذي يخلو من كل التزام ، بالقضايا الجوهرية في التقدم
القومي والانساني معا لا يقل تواطؤا عن أعتى كتاب اليمين . ولم يفلح النجاح
الشعبي الذي أحرزته بعض أعماله عندما عرضت على مسارح مدريد ان تمحو من
حلقة هذه المرارة التي تركتها فيه خصوماته مع شباب الطليعة ، مما خداه الى اتخاذ
موقف ذي دلالة عميقة في آخر أيامه ، عندما أراد أن ينضم الى قافلة الكتاب
الملتزمين فاستلهم خط المسرح التاريخي النقدي الذي كان قد تقدم فيه أحد هؤلاء
الشبان الواعدين وهو على وجه الدقة « بويرو بايخو » الذي تقدم لمسرحيته بهذه
الكلمات فكتب كاسونا **الفارس ذو المهماز الذهبي** ولكنه كان قد بنى مجده على نوع
آخر من المسرح الشعبي اللاواقعي ، فلم يستطع أن يحفر بعمق في هذا الاتجاه
الجديد .

الا أنه يمكننا أن نثبت لكاسونا توفيقه الكامل في أمرين : **أحدهما** يتصل بهذه
المهارة الفنية التي تتسم بها أعماله من حيث « التكنيك » المسرحي والتي تشهد
بأستاذيته في بناء الدراما وتجعل من أعماله دروسا ممتازة في هذه الصنعة عندما

نحاول تحليل تركيبها ودراسة ادواته الفنية الناجمة فيها ، اما الامر الثاني فهو قدرته على تمثيل بيئته الأصلية في شمال اسبانيا وهي اقليم « أستورياس » بكل عبقه وخصائصه بحيث نتسم من أعماله عبيرا لطبيعة الناس ورائحتهم فيها ، وننفذ الى ما هو أعمق من ذلك ، وهو طبيعتهم الصلبة الصابرة . ومسرحية الأشجار تموت واقفة تعد من أقوى ما يكشف عن هذه الصلابة التي تدعو الى الإعجاب والتعاطف .

اما الكاتب الثاني من هؤلاء الهاربين الى المهجر فهو « ماكس أوب » وهو يعتبر حالة فريدة في تاريخ الادب الاسباني المعاصر ، فقد ولد في فرنسا وتربى في « بلنسية » وقدم باكورة أعماله في مدريد ثم فاجأته الحرب الأهلية فنجا الى المكسيك حيث يقيم فيها الى الآن .

مارس الكتابة القصصية حتى بعد أن عثر على صيفته الفنية المفضلة ، وهي المسرحيات القصيرة ذات الفصل الواحد التي تتوافق بطبيعتها بنائها المركز المدور مع أفكاره المحددة النافذة كأنها طلقات الرصاص ، ولكنها طلقات معبأة بأقوى شحنة سياسية ، يمكن للادب ان يتحملها ، ويكفي ان نستعرض بسرعة الحلقات التي قسم أعماله اليها في مؤلفاته الكاملة التي مازالت متنوعة التداول في اسبانيا ، لنرى مدى احترافه بنار الالتزام المباشر الذي يجعل من أعماله وثائق دامغة لعصره ، كما نرى فيها أن نطلق همومه قد اتسع ليشمل - بالاضافة الى مشكلته القومية - المسألة الاوربية والعالمية بأكملها . آخر مسرحياته صورة الجنرال النصفية وهو ملتفت الى اليسار نقد حاد لموقف الجيل الحالي كله من حرب الفيتنام ، وأهم هذه الحلقات : - مسرح الظروف الذي يشمل ثمانية أعمال تتناول كلها مأساة الحرب الأهلية ، والمنفيون ، ومسرح اسبانيا في عهد فرانكو ، ومسرح العودة - لم يعد ماكس الا زائرا عابرا منذ ثلاث سنوات - هذا الى جانب أعماله الاخرى الهامة مما يسميه المسرح الأكبر .

وقد كانت النتيجة التي ترتبت على هذا الموقف الذي يجعل من الادب سلاحا سياسيا مباشرا ان اتسعت الهوة بينه وبين جمهوره ، وتفاقم الوضع فيما يتصل بإمكانياته للعرض والنشر ، وأصبح مسرح اقلية ، لا بما يتضمنه من قيم طبيعية او بما يعتمد عليه من صيغ تجريبية فقط ، ولكن بما يعبر عنه من روح موتور يستنفد كثيرا من طاقته في مسارب الرفض والادانة ، بل والحقن العنصري ايضا .

اما الجناح الثاني من هؤلاء الكتاب الهاربين ، فهم الذين رضوا بحياة الدعة والاستقرار والاطمئنان الى الأوضاع القائمة ، وهم وان لم يهجروا وطنهم قد هجروا شيئا أغلى منه وهو واجبه المرائد في تحمل مسؤوليته ومجابهة قضاياها ، وربما لم يكن هذا الموقف مقصودا ولا متعمدا ، وانما كان نتيجة للروح السلبي الذي لا يقوى على المقاومة ، وانما يؤثر الخلود الى الرضا والاستكانة . ويمكننا ان نميز بين هؤلاء

تبارين مختلفين غاية الاختلاف ، وان كانا يصبان في منبع واحد في نهاية الامر ، احدهما يتكون من كتاب « الكوميديا » ممن يغطى الالم بالابتسام ويدارى الصراخ بالقهقهة ، وكلما ازداد عرق المرارة في أعماله كلما ابتعد عن الاطار الوردى الذى يقربه من النجاح ، ويضله بجمهور مخدر الاحساس يريد أن ينسى جراحه حتى تندمل مستغرقا في ديمومة الفكاهة التي قد ترق وتضجر حتى تصل رغما عنه الى البكاء . ولعل اصدق هؤلاء الكتاب حسا هو « ميغيل ميورا » ذلك المؤلف العذب الذى كتب في الثلاثينات **ثلاث قبعات من الطراز الكوبى** فرفضها المسئولون عن المسارح لغرابية فكاهتها وجراة روحها ، ولشيء آخر لم يتبينوه حينئذ ، ثم عرضت بعد ذلك بعشرين عاما فأخذوا يضربون كفا على كف لانها لم تكن الا ارهاصا بمسرح اللامعقول ودخولا اليه من باب المهزلة ، ثم كتب بعد ذلك جملة من « الكوميديات » التي كانت بالنسبة للجمهور بمثابة الكهف السحري الذى يعثرون فيه على أوهامهم المفقودة وخيالهم المضغوط وافراحهم المجهضة ، والذي قام بدور أساسى في الوصول الى هذا الهدف الذى اصبح مقياس النجاح في اسبانيا ، وهو نسيان الواقع او التسامي عليه .

ثم تأتى بعد ذلك طبقة كتاب اليمين ممن تقوم مصالحهم على الدفاع عن التقاليد الثابتة وممارسة نوع من الوصاية التي تتكىء أحيانا على الدين ، وأحيانا أخرى على العرف . وربما كان أكبر ممثل لهذه الطبقة هو « خوسيه ماريّا بيتمان » الذى يتربع على « عرش » الادب الاسباني المعاصر ، وهو نموذج للاديب التقليدى الذى ينظم الشعر ويلهج بدراسة العصور الكلاسيكية بروح البنوة لها والدفاع عن قيمها ، ولو أخذنا آخر أعماله المسرحية الذى عرض في مدريد طيلة عام (١٩٧٠) **ثلاثة شهود** مقياسا لأصالته لرأينا فيه هذا الترقيع التقليدى بين صيغ تقديمية تطمح الى تقديم تجارب طليعية في الشكل ، لا تقوم على قاعدة من رؤية حقيقية ، فتفصح افلاسها عندما تلجأ الى تملق الشعور الدينى لدى الجمهور وتثير السخرية عندما تبعث على خشبة المسرح الآن صراعات تقليدية مثل الصدام بين **المواضعات الاجتماعية** والروح الفردية ثم تقدم حلولاً « رومانتيكية » تحاول ان تكسب طابع الجلال بالضغط على نغمات كهنوتية مستهلكة .

ولما كان هذا هو حال المسرح اليميني في اسبانيا فان الأوساط الثقافية هناك كانت تنحرق شوقا الى مولد مؤلف جديد ، مؤلف قد تجاوز طوفان الحرب الاهلية ونجا منه بحياته وضميره معا ، لم يهرب الى مهجر ينعم فيه براحة الجسد في ظلال امن غريب عن قومه او سعادة لا يشاركه فيها أهله ، كما انه لم يهرب من مسئوليته كذلك غارقا في لذات السلبية او مستغرقا في سبات الاستلاب والاستسلام . هذا المؤلف دق خشبة المسرح سنة ١٩٤٩ بمسرحيته التي اعتبرت بداية عهد جديد في تاريخ الادب الاسباني وهي قصة سلم ، وهاك أولا شيئا عن حياته .

شخصية بويرو بايخو :

ولد انطونيو بويرو بايخو في مدينة صغيرة تبعد عن مدريد خمسين كيلومترا تقريبا وتسمى بالاسبانية « جوادا لخارا » وهو اسم محرف عن الاصل العربي « وادي الحجارة » وذلك في ٢٩ من سبتمبر سنة ١٩١٦ ، ومنذ طفولته المبكرة كان المسرح هو لعبته المفضلة ، فكم عبث مع رفاق صباه ببناء مسارح من الصناديق الخشبية وممثلين من الاوراق المقواة دون ان يدري انه يخط بذلك قسما مستقبله في هذا العالم الفنى الساحر ، وكان أبوه مهندسا يعمل في القوات المسلحة الا انه كان يتمتع بحس مرهف يتعشق الرسم ويهوى المسرح ، فنشأ مؤلفنا يحبو بين مجلدات الفن ومؤلفات الادب ، وكان أبوه هو معلمه الأول فسرعان ما دربه على القراءة ثم أخذ يطوف به في معالم الثقافة المتنوعة عندما شب عن الطوق ، ولم يكن غريبا على هذا الصبي ان يسمع أباه وهو يتحدث عن النسبية وعن الزمن كبعد رابع مما بعث فيه فضولا قويا وشوقا مبكرا الى اكتشاف كنه الوجود والتفغل في باطن أغاز الكون ، وقد حدها هذا الفضول الى قراءة كثير من الكتب العلمية في الطبيعة وغيرها مما يفسر ظاهرة هامة سنجدها في مسرحة بعد ذلك ، وهي تمسقه لهذا النوع من المؤلفات الادبية التي تعتمد على الخيال العلمي وترتكز على المكتشفات الحديثة بل وتسبقها في بعض الاحيان . ولناخذ نموذجا لذلك مسرحيتين من آخر نتاجه في السنوات القليلة الماضية وهما الكوة التي تعتمد على فكرة طريفة وجريئة في خيالها العلمي ، فهي عبارة عن تجربة يجريها رجال المستقبل بعد عصرنا بعدة قرون لاعادة بناء أحداث تمت في الماضي البعيد بالنسبة لهم - هو وهذا القرن العشرون - ملتقطين من الفضاء بدبدبات خاصة صور هذه الأحداث كما جرت بالضبط ، على اعتبار ان هذا الفضاء يضم بين جنباته كل أسرار الوجود ، دون أن تضيق منها ذرة ، اما التجربة الثانية فهي كتابه الذى وضعه للأوبرا ولم يقدر له ان يغنى على المسرح حتى الآن وهو أسطورة الذى نجده مشحونا برموز انسانية مكثفة ودلالة اجتماعية قاطمة ، بيد انه يستخدم في اطار فني محكم طاقة هائلة من الخيال العلمي فيما يتصل بموالم الفضاء وأسراره الكبيرة . ونعود الى حياة « بويرو بايخو » بعد ان وضعنا اصابعنا على هذا العامل الأول في مكوناته الفنية ، فنجده بعد اتمام دراسته الثانوية سنة ١٩٣٤ يلتحق بالمعهد الالى للفنون الجميلة بمدريد وهو « أكاديمية سان فرناندو » ليدرس الرسم اشباعا لهوائته واستدادا لمستقبل مهني متناغم مع امكانياته الا أن الحرب الاهلية التي نشبت بعد ذلك بعامين قطعت عليه دراسته عندما أصابت كل مظاهر الحياة في اسبانيا بالشلل ، ومن يومها لم يعد مؤلفنا الى استئناف دراسة منظمة من أى نوع ، اذ انه انضم لصفوف القوات الجمهورية وحارب معها طيلة السنوات الثلاث ، مما انتهى به الى ان يحكم عليه بالاعدام بتهمة « الانضمام الى حركة التمرد » وظل ثمانية شهور يتوقع كل صباح ان ينادى عليه ليأخذ مكانه

تحت المقصلة ، الا ان حكمه قد خفف ضمن عمليات العفو والاسترضاء الجماعية الى السجن الذى ظل فيه حتى عام ١٩٤٦ . وحاول بعد خروجه أن يبنى حياته من جديد متخذاً من الرسم وسيلة لكسب قوته الا انه لم يلبث حتى تحول الى ممارسة فن الكلمة بدلا من الفرشاة التي مجزت في يده عن التعبير عن كل ما يعتل في نفسه من أحاسيس ، وما يرهق ضميره من مسئولية اجتماعية وأدبية ، وعندئذ اكتشف المسرح كوعاء يستطيع أن يصب فيه همومه وأشواقه ، وان يعبر من خلاله عما التزم به من قضايا إنسانية واجتماعية وقومية . الا أن هذا الوعاء على كفافته كان لا بد له أن يشف عن هذين العاملين الآخرين اللذين اجملناهما في حياته واصطبغ بهما كل نتاجه ، وهما الرسم والحرب .

اما الرسم فقد ترك بصماته على كاتبنا في طبيعة بنائه الفني لمسرحياته ، وما تزخر به من عناصر تشكيلية . وفي الدراسة المطولة التي أرجو أن انشرها يوما عن مسرحه قمت بتتبع هذه العناصر ابتداء من وصفه المستفيض للمناظر بطريقة توحى بأنه يبنى خشبة المسرح بازميل نحات ، أو يحدد معالمها بريشة رسام ، وأقرب شاهد على ذلك هو الوصف المطول الذى يضعه لمناظر هذه المسرحية التي تقدم لها ، الى ما يترسب في بعض أعماله من معارف فنية لا تتاح لكل الناس تنم عن مدى عمق احساسه باللون واصالة ادراكه للخطوط ووعيه بما هو أدق من ذلك وهو طبيعة لحظات الخلق عند الفنان التشكيلي ، ففي مسرحيته **الوصيفات** - على اسم أشهر لوحات الرسام الاسباني العظيم بيلانكيث التي تعتبر جيوكندا متحف البرادو في مدريد - يقدم لنا « بويرو » في طيات الحوار حفنة من اللفتات الذكية عن التكوين الضوئي في اللوحات والرؤية الجديدة للألوان والظلال لا يمكن أن تتيسرا لغير رسام محترف ، ولكنه يذهب الى ما هو أبعد من ذلك في مسرحيته الأخرى **حلم العقل** التي تتناول المرحلة الأخيرة من حياة رسام اسبانيا الأكبر « جويا » اذ يدخل عددا من لوحاته - عن طريق صورها التي تعرض على الحائط - في صميم النسيج الدرامي ويجعلها جزءا من الأحداث تتقدم بها في مجال التوتر الموضوعي ، وتعبر عن أدق لحظات القلق والتأزم عند الفنان . وعندما نتبع كذلك رموزه الضوئية ودلالة النور عنده ثم دور المكان والمسطحات في مسرحه ، نجد التزاوج الأصيل بين الرسم والمسرح في البناء والروح والاداء .

اما العامل الآخر ، وهو الحرب ونهايتها الفاجعة الخاسرة بالنسبة له ، ثم ما أعقبها من مواجهة الاعداء كل صباح طيلة ثمانية شهور ، والسجن طيلة سبع سنين ، كل هذا دمج قلب « بويرو » وعقله معا بطابع مأساوى لا تخطئه العين في كل مؤلفاته ، وقد أدرك « بويرو » الشروط التي يجب ان تتوافر لأعماله حتى تحقق الصديق الوجودى والفني معا ، ووقع على مكانه الصحيح في المسرح عندما أخذ على عاتقه مهمة طموحا وصعبة وهي تجديد المأساة واخضاعها لظروف العصر ، وقد كتب عشرات البحوث في هذا الموضوع مستوفيا جوانبه التاريخية والفنية والاجتماعية ، ثم اجمل

خلاصة نظريته عن المأساة الحديثة في دائرة معارف المسرح التي نشرت في إسبانيا سنة ١٩٥٨ ، إلا أن أصدق مرآة لهذا الروح المساوي الاصيل ستظل هي أعماله المسرحية التي تعكس شعوره الناجع بالحياة وإحساسه الطافي بقيمتها ، على ما يمتزج بذلك من تشاؤم خفيف تكسر حدته دائما نبرة من الأمل الرشيد الذي لا يستهين بالمصير ، وإن كان يؤمن بإمكانية تحويله ، ولا يفرح بالحياة وإن كان لا يئس من اصلاحها ، وكما كتب « بويرو » من دراسات يشرح فيها طبيعة هذه « المأساة المفعمة بالأمل » على ما في ذلك من تناقض ظاهري ، وإن كانت خير وسيلة لفهم هذه القضية هي قراءة أية مسرحية من أعماله الخلاقة ، ولتكن التي تقدم لها بهذه الكلمات .

وقد توفر كاتبنا بعد أن نبذ الرسم على التأليف المسرحي يعطيه كل وقته وطاقته ، ويعيش مما تدره عليه أعماله دون أن يشغل نفسه بأي عمل أو يتولى أية وظيفة أخرى ، وهو وإن كان مقلًا في نتاجه الذي لا يتجاوز حتى الآن عشرين مسرحية ، ترجم عدد منها إلى معظم اللغات الحية ، وكتبت عنه عدة رسائل جامعية في أوروبا وأمريكا ، إلا أنه قد استطاع أن يفرض شخصيته الفنية على الأوساط الرسمية في إسبانيا التي اضطرت أخيرا إلى الاعتراف به - على عذائه للنظام الحاكم - كواحد من أهم كتاب المسرح في العصر الحديث ، فسمحت باختياره في (فبراير عام ١٩٧١) عضوا في مجمع اللغة الملكي بالرغم من أنه معروف برأى واضح في الملكية عبر عنه أخيرا في مسرحيته التي أشرنا إليها **حلم العقل** ولكنه يلتزم دائما بموقف حكيم في أمور السياسة إذ يركز دائما على الأسس الفلسفية للانظمة ويعتدل في نقده للجوانب السلبية منها ، ويرى على وجه الخصوص أن التطرف خسارة للقضية التي يدافع عنها دائما وهي الحريات الخاصة والعامة ، وأن يوسع الفنان أن يقدم حلولاً فكرية وأدبية دون أن يعلن الحرب الصريحة على المجتمع الذي يعيش فيه ، حتى لا ينسف الجسور التي تربطه به .

وبالرغم من ذلك فإن موقف السلطات منه مضطرب لا يستقيم على وضع ، فبينما يقدرون له شرف أهدافه ونبل ادواته ، وعظمة قيمته الأدبية فيسمحون له بالحصول على كثير من الجوائز التي لا يخلو عام من أخبار اهدائها إليه ، إذ بهم من ناحية أخرى يترددون كثيرا قبل أن يجيزوا في الرقابة بعض أعماله ، ونفس هذه المسرحية **القصة المزدوجة للدكتور بالمي** ما زالت ممنوعة في إسبانيا من العرض على المسارح أو النشر في كتب . ولكن ترجمتها الانجليزية قد عرضت في إنجلترا عام ١٩٦٩ ثم طبعت مع النص الاصيل في إحدى المجلات الأمريكية بعد ذلك .

خصائص مسرحه :

وعندما نعد إلى المواجهة المباشرة لأعمال « بويرو » الدرامية بعيدا عن أية أحكام مسبقة ، نجد أنها تنحل عند التحليل وتتمركز في أربعة مجموعات كبيرة ، تمثل كل منها حلقة متصلة الأطراف ، أولاها تعتبر وثائق اجتماعية تشهد على عصرها وتمثله ، بينما تقع الثانية داخل الإطار التاريخي ، أما الثالثة فتتندل إلى أعماق الطبيعة الإنسانية ، بينما تدور الرابعة حول العلاقة بين الحلم والواقع .

وبدا الحلقة الاولى بمسرحيته الشهيرة تاريخ سلم (١٩٤٩) التي نالت جائزة لويس دي بيجا ، وعرضت على المسرح القومي فلقيت من اعجاب النقاد ، وتقدير الجمهور ما جعل هذا المسرح يؤجل لأول مرة في تاريخه عرض دون خوان تنوريو التي يقدمها في شهر نوفمبر من كل عام والتي تعتبر من أقدس الطقوس الأدبية والمسرحية في اسبانيا خلال هذا القرن ، ويرجع نجاح تاريخ سلم الى انها أول مسرحية بعد الحرب الأهلية تمثل اتجاه الواقعية الجديدة وتعرض بشجاعة واخلاص المشاكل الطبقيّة ملتزمة بموقف نقدي خاص من المجتمع الاسباني ، ورؤية مستقبلية ناضجة لا تغتر بأمل ساذج وان كانت لا تغفل خطورة حالات الاستلاب التي يرزح تحت عبثها انسان العصر الحديث ، وجاءت بعد هذا بعدة سنوات اليوم عيد (١٩٥٦) لتمس بضعة من مواجع المجتمع الاسباني الذي ما زال ينشد العدالة ويبحث عن طريقه للخلاص ، وهي تدور حول ظاهرة شائعة فيه ، هي اعتماد الطبقات الفقيرة على اجلام الثراء التي تتيحها معجزات « اليانصيب » كآخر أمل تبقى لهم لتجاوز حالات القهر والضغط الاجتماعية بعد أن أصبح العمل المشروع لتطوير النظم الاقتصادية يلتبس دائما بالنزعة الفوضوية التخريبية التي تسوء الى الحركة الثورية . على أن مسرحية اليوم عيد الى جانب هذا تقدم لنا نموذجا انسانيا واحدا على الأقل من اصدق ما نطالعه في الادب الاسباني ، وهو هذا الشخص الذي يصدق عليه المثل العربي « سبع صنائع والبخت ضائع » الذي لا يستطيع ان يحقق مواهبه المبدعة في مجال الابتكارات الكبيرة فيستنفذها في خلق لعب يبيعها لمن يتاجر بها في الاسواق والموائد ، ويستحيل الرماد في يديه الى مسحوق يفيد في أي شيء ، وهو الى جانب ذلك عامر القلب خصب الانسانية عظيم الاثار ، يحيل المأساة التي تحيط به الى مهرجان حقيقي للعاطف والمودة بين الناس . وعلى نفس هذا الخط تأتي مسرحية الكوة (١٩٦٧) التي تمس بوضوح لأول مرة أزمة الضمير التي طالت لدى من انتصروا في الحرب الأهلية ، وأزمة الوجود التي سحقت من هزموا فيها ، وهي وثيقة اجتماعية في غاية النضج والاهمية ، تحكى لنا تاريخ أسرة - تعتبر نموذجا لعشرات الآلاف من الأسر هنا - وقفت ذات ليلة على رصيف السكة الحديدية تنتظر القطار الذي يقلها الى العاصمة بعد انتهاء الحرب ، هذا القطار الذي لا يتمكن من ركوبه الا الولد الأكبر للأسرة الذي يحمل معه زادها ويترك البقية يلهثون على الرصيف ، فتموت منهم الطفلة الصغيرة من الجوع ، ويختل عقل الأب من الجنون ، ولا تدور الاحداث الا بعد هذا بعشرين سنة عندما نرى نفس هذه الأسرة تسكن « بدروم » احد المنازل ، وتترقب من خلال كوة على سطح الارض اقدام العابرين كأنها امام شاشة صغيرة بينما يجمع الأب قصاصات الصور من الصحف والمجلات ، ولا يفتأ يسأل عن ماهية أصحابها . ثم يشتد الصراع بين الابن الناجح الذي « ركب القطار » ووصل في المجتمع الى مكانة مرموقة بفضل استغلاله وقدرته الوصلية وبين أخيه المثقف الذي رفض هذه الوسائل وآثر عليها حياة يائسة ولكنها شريفة ، ثم تتداخل في ذلك عوامل عاطفية وانسانية تصل الى ذروتها في شخصية الأب المذهول الذي يتعاطف قدره حتى يمثل

في نهاية المسرحية قوة العدالة الالهية ، ويتم على يديه الانتقام ، كل هذا يعرضه المؤلف « بتكتيك » تقديمي تجريبي ، يجعل من هذه المسرحية واحدة من أقوى ما شهدته المسرح الاسباني المعاصر وأكثرها دلالة وامتلاء وتعبرا عن الانسان الحديث . وتختتم هذه الحلقة حتى الآن بمسرحية **القصة المزدوجة للدكتور بالي (١٩٦٨)** التي سنفصل عنها الحديث بعض الشيء في ختام هذه المقدمة . واذا كانت هناك قيمة أساسية ينشدها المؤلف في هذه المجموعة ، ويلتزم بها فهي التركيز على الحريات الشخصية والعدالة الاجتماعية باعتبارهما أنبل ما ينبغي الحرص عليه من خلال التجربة الانسانية العريضة ، وهو اذ يصل الى هذه النتيجة عبر رحلة شاقة يجوس فيها خلال الواقع التاريخي المرتبط بزمان ومكان محددين لا يتسم لهذا بنزعة محلية ضيقة ، وانما يفتح على آفاق عالمية بفضل الصدق الذي يعبر به والخير الذي يهدف اليه وبفضل شيء آخر يفوق ذلك في الاهمية ، وهو محاولته الدأبية في البحث عن قيم جمالية جديدة من خلال تجاربه الفنية التي تجعل من كل مسرحية كشفا عن وسائل جديدة في فن المسرح وازضافة حقيقية لميدانه .

اما الحلقة الثانية التي تدور في الاطار التاريخي فهو يبحث عن جذور هذا الوضع الراهن في الظروف العصيبة التي مر بها الشعب الاسباني خلال تمزقاته التاريخية ، وقد اختار ثلاث شخصيات اساسية جعلها محور هذه الاعمال : الماركيز دى اسكيلاتش : الوزير الايطالي الطموح الذي حمل لواء الاصلاح في عصر النهضة والتنوير ، بطل مسرحية **حالم من أجل الشعب (١٩٥٨)** والذي اخفق في مهمته بسبب تأمر الاستقرائية عليه ، وجهل الشعب بأهدافه ، اذ انه كان يتبنى سياسة خاطئة شعارها مصلحة الشعب ولو بدون هذا الشعب ، مما جعله يتحول الى حاكم مطلق يقاومه الناس حتى عندما يشرع القوانين التي يراد بها خيرهم ، وبالرغم من الاطار التاريخي الذي تدور فيه فان ما تمسه من قضايا حيوية لايزال محور صراع وجدل حتى الآن ، ثم شخصية « بيلانكيت » التي حملها « بويرو » في مسرحية **الوصيفات (١٩٦٠)** رسالة ملتزمة ربما كانت أكثر مما تطبق ، اذ جعل منه وهو ربيب القصور - ككل الرسامين في عصره - نائرا سبق عصر الثورات ، ورائدا أضاء له عبقريته الفنية معالم رسالة الحق والخير والجمال ، ثم ختم هذه الحلقة بمسرحية أخرى استمدت موضوعها من تاريخ اسبانيا القريب واتخذت من رسام آخر هو « جوبا » محورا لها ، وقد استطاع « بويرو بايخو » في هذه المسرحية ، **حلم العقل (١٩٧٠)** ان يخطو بالمسرح الاسباني أهم خطوة في سبيل ربطه بالتيارات الاوربية الحديثة ، اذ انه قد اعتمد على مافي حياة الرسام الكبير ونتاجه الخالد من طابع العبث واللامعقول ليجعل من مسرحيته اول صيغة معقولة ومبررة وأصيلة لهذا التيار الفني الجديد . فبالرغم من ان الكاتب الاسباني « أرابال » أحد اعلام هذا الاتجاه الى جانب بيكيت ويونسكو وغيرهم قد مارسه منذ وقت طويل خلال اقامته في فرنسا ، الا انه لم ينبثق من ضرورة اجتماعية او تاريخية قومية ، بل « تمذهب »

عقليا في هذا التيار والدمج فنيا فيه ، اما « بويرو » فقد « ولد » عنده هذا الاتجاه من خلال معانقته للمستحيل في جذوره الاجتماعية وبيئته الخاصة ، فشخصية « جويا » التي تمثلت فيها في مرحلتها الاخيرة ارهاصات « بيكاسو » وتجرباته من ناحية ، ولا معقولية التعسف الظالم للحكم الفردي من جانب آخر انصهرا في نفس مؤلفنا وجعلا من الصيغة اللامعقولة التعبير الوحيد الطبيعي عن واقع عبثي يند عن الاطار التقليدي ويخرج على المنطق المعهود للأشياء .

ولعله بذلك يمثل أحدث تطوير للواقعية الجديدة في تراوجها مع مسرح العبث واضفائها طابع الجدية والالتزام عليه .

وفي الحلقة الثالثة التي تدور حول الطبيعة الانسانية وشروطها الخاصة تنسج دائرة طموح المؤلف لتتجاوز المشاكل الاجتماعية المباشرة او الظروف التاريخية المحددة ، فهو يخضع هذا الانسان الذي يعتقد انه في جوهره مشكل وملغز للون من التحايل الدرامي لأشواقه وآماله وقيوده ، خاصة هذه الاخيرة : قيوده التي لا يستسلم للاعتراف بها . فهي بهذا اعمال ذات طابع ميتافيزيقي واضح وان كانت حرارة النبض الانساني واحكام الصبغة الفنية ينقدانها من تجريدية الفلسفة ونظرياتها الباردة عن الانسان .

وأول أعمال هذه الحلقة في **الظلمة المتوقدة** (١٩٥٠) هو على وجه التحديد المحاولة الاولى « لبويرو » في كتابة المسرح وان كانت ثاني عمل يعرض له ، وقد تناول فيها تجربة طريفة هي حياة مجموعة من الشبان العميان في مدرسة داخلية حاول منظموها ان يوفر لهم جوا « طبيعيا » يمارسون فيه سلوكا لا يختلف عن سلوك المبصرين ، فهم يزاولون الالعاب الرياضية ، ويتغلبون على عقدة النقص والشذوذ التي تجعلهم انصاف بشر ، الا ان دخول شاب متمرد ذكي ذو شعور مأساوي حاد الى هذا الوسط سرعان ما يكسر القشرة الزائفة ، ويكشف لهم عما في حياتهم من تناقض ، وكيف انهم يدفنون رؤوسهم في الرمال عندما يتجاهلون الواقع المر الذي يقيد بالرغم منهم كل حركاتهم ، ويضعهم داخل شروط العجز الواضح التي لاتنصفهم محاولات التسامي عليه . ويكفي لهذا المتمرد ان يلقي بذور الشك في نفوسهم حتى تضطرب الجماعة ولا يكون هناك مفر من طرد هذا الدخيل الذي نجح في اذلال غرورهم ، وتكون الجريمة التي يرتكبها اخلص أنصار « النظام القائم » بقتل زميله المتمرد في حقل الالعاب الرياضية هي الحل الذي يختم المسرحية وان كان لا يسمح على الاطلاق لهذه الجماعة ان تعود سيرتها الاولى ، فهناك شيء عزيز قد كسر داخل نفوسهم عندما القى هذا الشهيد في وجههم بكلمة حق ، ثم مضى عنهم الى عالم آخر ، عالم تلمع فيه النجوم اللانهائية حيث يمكنه ان يحقق المستحيل الذي ظل طيلة حياته ينشده وهو الرؤية واختراق الحجب . وقد رأيت في هذه المسرحية عند تحليلها التفصيلي انها استعارة كبيرة للمجتمعات المخدومة التي يوهنها الطفافة بطبيعية وضعها ، ويحاولون ترويضها على قبول العجز حتى يأتي اليها من يحملها

على الاعتراف بما هي فيه من ضلال ، ويدعوها الى مواجهة الواقع بشجاعة وإخلاص بالرغم مما فيه من قسوة ومرارة .

ويبدو ان « بويرو » قد وجد في موضوع العمى - كرمز للعجز الانساني مادة خصبة فعاد اليه في مسرحية كوشرت سان أوبييدو (١٩٦٢) التي يجسم فيها اشواق الانسان للارتفاع على قيوده وتخطيها بالرغم من العوائق المضادة التي تنزع الى تحطيمه ، ويتخذ مؤلفنا من حادثة تاريخية وقعت في فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر منطلقا له ، اذ يقع على خبر مؤداه ان أحد المتعهدين قد كون فرقة موسيقية من العميان ثم جعل يدور بهم في الاسواق وموالد القديسين منتزعا بحركاتهم العشواء ومظهرهم المضحك اعجاب المتفرجين واموالهم ، وكان هذا قبيل اختراع طريقة « بريل » وارهاضا له . يلتقط « بويرو » هذا الخبر ثم يبني عليه مأساة قوية قوامها رغبة أحد هؤلاء العميان المتحرقة أن يعرف اصول العزف الحقيقية ، ويتعلم الموسيقى الجادة ، ويقرأ النوتة ، ثم صراعه المريع في ميدانين : احدهما هو يأس زملائه واستهتارهم وتركهم أنفسهم الانصياع للآخرين . اما الميدان الثاني فهو استغلال هذا المتعهد البشع لعجزهم وقتله لكل ما هو انساني نبيل فيهم قبل ان يحولهم الى مهرجين ، وتدخل المرأة لتزكى لهب الصراع وتكشف عن اعماق اجتماعية ونفسية خصبة في المأساة التي تنتهي مثل سابقتها بالموت ، لكنه موت يترك باب الامل مفتوحا لينبج منه الصباح بعد ليل مظلم طويل ، والضحية هذه المرة ليس هو الاعمى المغلوب على أمره ولكنه جلاده ومستقله ، اذ يتمكن الاول من أن يلج على المتعهد مكمنه ويطفئ عليه المصباح ، فيصبح أقوى منه بما تعود عليه من الظلمة ثم يقضى عليه بضربات ماهرة سديدة ، وكأنه يقضى فيه على رمز النزعات الدنيئة في الانسان التي تجعله لا يتورع عن التجارة بضعف الآخرين وآلامهم .

وبين هاتين المسرحيتين يكتب مؤلفنا ثلاثة أعمال أخرى تنزع الى هذا الاتجاه الانساني ، وهي على التوالي : **العلامة المنتظرة** (١٩٥٢) ثم **المسرحية المحبوبة** **المتقنة الفجر** (١٩٥٣) التي قيل عنها انها نموذج نادر لعمل تتوافر فيه بدقة بالغة شروط الوحدات الثلاث الكلاسيكية ، والطريف في هذه المسرحية ان الزمن فيها يجري على طبيعته فتحكمه ساعة حائط معلقة هي التي تعلن بدقاتها الطبيعية - دون أى تدخل من المخرج - نهاية الفصلين اللذين تتكون منهما ، وهي تدور حول نزعة اصيلة في المرأة الى التضحية بكل ما تملك بغية الاطمئنان على شيء آخر غير هذه المصالح العاجلة وهو انها كانت موضع حب لاعطف ، وتقدير لا اشفاق ، والجو الذي يهيئه المؤلف لها لا يزيد عن كونه جلسة عائلية بسيطة احكمت تدبيرها زوجة رسام ثرى كانت تعمل « موديل » له ثم عشقها واقرن بها دون علم من أهله ، ولكنه قبيل وفاته استشعرت منه جفوة لم تعرف سرها وتوقعت بحدسها الانثوى أن مصدرها كان وشاية من أحد أقاربه الذين استغلوا ماضيها المشبوه ، وكان أول شيء فعلته بعد أن لفظ آخر انفاسه ان استدعت اقاربه واوهمتهم انه مازال على قيد الحياة ،

وأن يوسعها أن تستكتبه وصية بثروته لصالحها إن هم رفضوا الإداء لها بالسر الذي تبحث عنه . وتتضح في هذه المسرحية نزعة العنف الرهيبة لدى الإنسان الإسباني على وجه الخصوص ، والتي تجعل منه فريدا في نوعه عندما يتخذ من الموت « لعبته » المفضلة ، وما مصارعة الثيران التي اشتهر بها إلا أبرز مظاهر هذه اللعبة وأكثرها غريا وتجريدا ، كما أن فرقة « كولومبس » التي استسلمت لأمواج المحيط لم تكن قبل أن تصل للعالم الجديد إلا مجموعة من الذين يذهبون إلى حتفهم بظلفهم ، ويبحثون وراء الأفق عن موت شبه محقق في سبيل وهم خادع ، وكأنهم يهربون من واقعهم القاسي الذي شغل بالفزوة طيلة قرون متواصلة . هذه الشخصية الإسبانية الحادة التي توشك أن تخرق الأرض بكعوب راقصاتها ، هذه عندما تأخذهن نشوة « الفلامنكو » المتشنجة لاثبات شخصيتها الضائعة الممزقة التي تعرضت لأكبر الانقلابات التي شهدتها تاريخ الشعوب في تحولاتها العقائدية نلمس بعض جوانبها في مسرحية **الفجر** عندما تجتمع الأسرة على مقربة من فراش موت عزيز لديها ، ثم لا يكون لها هم إلا الصراع على الثروة ومن يرثها دون أن تذرف دمعة واحدة ، أو حتى كلمة رثاء لمن لا يزال على تصورهم في سكرة الموت ، بل ترى ما هو أبعد من ذلك عندما ينتهز أخو المحتضر ففلة من البقية ويدخل على شقيقه ليكتم آخر أنفاسه ويضع بهذا حدا للمساومة فيجده قد فارق الحياة ، ويفهم لعبة زوجته ، لكنه يظل في نظر بنته التي تكتشف ما حدث قاتلا بالنية وإن لم يكن قد باشر التنفيذ ، وبالرغم من أن المسرحية توشك أن تخلو من الأحداث ، تتجلى مهارة المؤلف في محافظته على التوتر وبراعته في الإثارة وكشفه عن المناطق المظلمة في نفس هذا الإنسان وإنايته الرهيبة .

وتأتي عقب ذلك مسرحية **الأوراق المغطاة** (١٩٥٧) لتخفر بعمق في نفس هذا الاتجاه إذ تقدم أسرة من الطبقة المتوسطة قامت فيها العلاقات بين الزوجين على أساس من النفاق والمدارة ، وقد نرى فيها اصدااء بعيدة لمسرحية أبسن الخالدة **بيت الدمية** على اختلاف المواقف والمراحل التاريخية التي ينتميان إليها ، إلا أن مؤلفنا يحتفظ بأصالته فيما أبدع فيها من رموز خاصة به ، وأهمها « غناء الطيور » الذي يلعب دور الموسيقى التصويرية فيتحول من هزيع مرح مقغم بالفرحة ، وروح الربيع في بداية الأحداث إلى صراخ خريفي يائس في نهايتها ، ثم ما يقدمه من نماذج إنسانية تظل عالقة بذاكرتك سنوات طويلة بعد قراءتها لتمييزها بالصيغة المحلية الواضحة ، وتفرد بها الطابع الإسباني الذي لا تخطئه العين البصيرة متى تدربت على رؤيته ، وسبرت مافي أغواره من ثراء نفسي مذهل ، وقلق روحي عظيم .

أما الحلقة الرابعة التي تدور عن الحلم في صلته بالواقع وتمثيله للحقيقة فينهل فيها « بويرو » من منبع دافق ثرا يرتبط بأقدم تيارات الأدب الإسباني وأكثرها أصالة وقوة ، ويكفي أنه يقترن في هذا المجال بأكثر اسمين شهدتهما الأدب الإسباني في عصره الذهبي : وهما سرفانتس مؤلف **دون كيخوته** وكالدرون دي لباركا صاحب القمة العالمية التي ستقدمها قريبا لقراء هذه السلسلة وهي **الحياة حلم** ، ولكن « بويرو باينخو » عندما يندمج في هذا التيار لا يتلفع برداء قديم بل يصدر عن ضرورات حيوية وفنية معاصرة ، فهو يعيد صياغة أسطورة « بينيلوبي » اليونانية

القديمة في مسرحيته **غازلة الاحلام** (١٩٥٢) لا اجترارا للبطولات الاغريقية ، وانما تمثلا لموقف الزوجات اللأئي يتحملن مأساة غياب ازواجهن في الحرب ، ثم يكون عليهن أن يصبحن أساطير حية لعذاب محقق ووفاء مزعوم وأن تتوقف بالنسبة لهن عجلة الزمن حتى يعود هؤلاء الأزواج ، اما ما يعتمل في نفوسهن وما يكون شخصياتهن ويصنع احلامهن فهو شيء يظل مستترا دفيناً في اعماق الزمان ، وهذا ما يتعرض مؤلفنا لاعادة غزله ، احلام بينيلوبى في غيبة عوليس ، وزيف التاريخ وقسوته وخضوعه لمنطق الاقوى الذى يصوغه ، لا كما حدث بالفعل ، وانما كما يملئ عليه هواه .

وفي نفس هذا الخط نجد شبه **حكاية خرافية** (١٩٥٣) تتناول مشكلة ازدواج الشخصية وقضية الجمال والقبح ، وفي **ايرينى او الكنز** (١٩٥٤) يمس برقة المنطقة الفاصلة بين الوهم والحقيقة في نفس بنائسة معذبة حرمت من طفلها الصغير فاستعاضت منه واحداً من أبناء « الجان » الذين يسميهم علماء الطب الرؤى التي يخلقها المرضى النفسيون ، وفي **مغامرة فيما هو رمادى** (١٩٦٣) يرتبط الحلم بمناخ سياسي مغير يشتد فيه النقد للطفيان وأساليبه ، ويعظم استخدامه لنظريات « فرويد » دون أن تفقد حيله المسرحية قدرتها على بناء مواقف ذكية واعطاء دلالات ورموز انسانية رجة .

ثم يقدم في **أسطورة** ، **كتاب للأوبرا** (١٩٦٨) صيغة حديثة لدون كихوته في العصر الحاضر الذى لا يتصور طواحين الهواء عماليق ، وانما ينتظر من الاطباك الطائرة وسكان المريخ ان يخلصوا الارض مما تراكم عليها من طبقات الظلم والشقاء ، كل هذا في لغة شعرية معذبة مفعمة بأصدق المواطنين الانسانية وانبليها في البحث عن مستقبل أفضل تستحيل فيه الاحلام الى واقع ينعم فيه الناس بالحب والرخاء .

القصة المزدوجة للدكتور بالى :

تقع هذه المسرحية — كما سبق ان أشرنا — ضمن دائرة الاعمال التي تعتبر وثائق اجتماعية تشهد على أحداث هذا العصر ، وهي وان كانت تجنح الى جنس المسرح السياسي الذى يناقش بصفة مباشرة الحياة العامة وظروفها ، ويخضعها لنوع من النقد العنيف الا انها نموذج ناضج للعمل الذى تنمو به قدرة الانسان على تأمل مصيره ، وتثرى به رؤيته للحياة ومسئوليته في تغييرها . فهي أولا مسرحية تلتزم بقضية محددة ، هي حق الانسان في ممارسة حريته الفردية والاجتماعية دون ضغط او ارهاب ، وهو حق مازالت تنتقص منه وتطغى عليه المجتمعات على اختلاف اشكالها و « أيديولوجياتها » . ولست أرى مبررا لتلخيص أحداث المسرحية وافساد متعة القارئ بها ولذته في متابعتها بشوق وفضول هما بعض مظاهر التدوق الفني الذى لا يقتصر على الاعمال البوليسية وحدها وانما نجده في الاعمال الرفيعة أيضا .

بيد أنه يعينى هنا ان أشير الى بعض الظواهر التي تتصل بأسلوب الاداء الذى اتبعه المؤلف وطريقة التكوين الفني للمسرحية ، فمنذ كتب **الكوة** ونحن نلاحظ انه لم يكف عن تجريب اشكال جديدة في الصياغة المسرحية يطور فيها الاطار التقليدى للواقعية الجديدة ، ويبحث عن امكانيات اخرى في استغلال الابعاد الزمانية والمساحات

المكانية . ولا شك ان الترجمة التي قام بها « بويرو بايخو » لمسرحية بريشت **الام الشجاعة** سنة ١٩٦٦ قد أتاح له فرصة معايشة صاحب نظرية المسرح الملحمي مما كان له اثر واضح في هذه النزعة التجريبية ، ولكنه لا يفسر على الاطلاق طبيعة الحلول التي اهتدى هو اليها بمجهوده الشخصي ، فتأثير بريشت عليه لا يتجاوز حد الالهام والايحاء الذي ينطلق بعده مؤلفنا بحثا عن صيغه الخاصة ، وهو هنا يجرب صيغة قصصية خطيرة لم يكن ليجرؤ عليها لولا انه اصبح في قمة نضوجه وتمكنه من أساليب فنه . فالدكتور بالمى - المحلل النفسى - يروى قطعاً من أحداث مرت به في مذكرات يملئها على سكرتيرته ، والمؤلف « يخرج » هذه الاحداث على طريقته موزعا الادوار بين الدكتور والابطال ، ومسلطا الضوء على الجزء الذى يعنيه من المسرح وتاركا للدكتور حق التعليق دون كسر الوهم المسرحى أو تبخير واقعيته ، ثم هو لا يكتفى بالدكتور ليقوم بدور « الكورس » اليونانى القديم وانما يدخل اثنين من مرضاه - يرمزان للمجتمع الذى يدافع عن نفسه بالخداع والتجاهل - كى ينصحا الجمهور بأن لا يصدق ما يقال له فهو كذب أو مبالغة على أحسن الفروض .

وتقسيم المسرح الى ثلاثة مستويات متعاصرة ومتجاورة ومتراكبة من ركن صغير يمثل عيادة الدكتور ، الى منزل الاسرة البائسة ، ومكتب الامن العتيق يعتبر من احسن الحلول المسرحية التى عثر عليها « بويرو بايخو » فى هذا العمل ، اذ أنه قد أتاح له عند توزيع المناظر بين هذه الاماكن فى مهارة « المايسترو » أن يتمثل التناقض الانسانى بينها والتكامل الوظيفى فيها .

أما بالنسبة للمدلول الاجتماعى الذى يرمى اليه المؤلف فهو يذهب الى أبعد من مجرد ادانة أعمال التعذيب السياسى ، انه يقدمها فى جذورها التاريخية العميقة ، ويدرس أسبابها النفسية لدى من يقومون بها ، ويستنفذ كل ما يمكن أن يقال فى الدفاع عنها وتبريرها ، ثم تكون النتيجة الرهيبة التى ينتهى اليها أنها بالإضافة الى كونها تشويهاً اجتماعية ونفسية شائنة ، فهى لا تقضى فقط على ضحاياها وانما على جلاديها كذلك ، وهى بهذا سلاح ذو حدين يجتث احدهما اللحم البشرى الذى يقع عليه بينما يقطع اليد التى تمسك به ، وهو يصل الى هذه النتيجة بوسائل درامية بحثة ابعد ما تكون عن الخطابية أو النزعات الاخلاقية الجوفاء ، اذ يدير أحداثه فى مناخ عائلى حميم ويستخدم حيلة نفسية معقدة ، هى عملية الاسقاط التى توقع البطل فى مأزق لا منفذ منه عندما يصاب بالمعجز الجنسى كنوع من عقاب النفس على ما فعله فى أحد ضحاياها ، ثم يعقب هذا تخلخل شخصى لا يصاب هو به فقط ، وانما تصاب به كذلك زوجته التى ينجح المؤلف فى رسم شخصيتها بلمسات ماهرة تجعلنا نتذكر قدراته كرسام تشكىلى ممتاز ، ثم تكون النهاية دوامة مأساوية تقع فيها الثمار التى احترقت بنار أوضاع خاطئة مدانة .

ونحن اذ نقدمها للقارئ العربى نرجو أن يتجاوز الهيكل الظاهرى للاحداث وأن يعايشها فى أعماق تحولاتها النفسية وازخر دلالاتها الاجتماعية ، كدرس مسرحى أصيل يقودنا الى النضج الشخصى والسياسى معا ، ويفتح عيوننا على تجارب هامة تستحق أن يستلهمها أدباؤنا فى التعبير الفنى عن المرحلة الحضارية التى نمر بها .

منتديات مكتبة العرب

<http://www.library4arab.com>

القصة المزدوجة للدكتور بالمى

تأليف : انطونيو بويرو بايخو
ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل
مراجعة : د. محمود مكي

منتديات مكتبة العرب

<http://www.library4arab.com>

العنوان الأصلي للمحررة

VOLUME 1 NUMBER 2

AUTUMN 1967

**ARTES HISPANICAS
HISPANIC ARTS**

THE
LA
DOUBLE
DOBLE
CASE HISTORY
HISTORIA
OF
DEL
DOCTOR
DOCTOR
VALMY
VALMY

BY

ANTONIO

BUERO

VALLEJO

TRANSLATED

BY

FARRIS

ANDERSON

منتديات مكتبة العرب

<http://www.library4arab.com>

وصف المنظر

البناء بسيط للغاية ، بلا سقف وعلى مستويين فوق عمق محايد . المستوى الاول عبارة عن منصة بزاوية قائمة قرب فتحة المسرح تستغرق الجانب الايسر منه ، وتمتد الى ثلثي عرض خشبة المسرح تقريبا . يقوم عليها منزل عائلة بارنيس ، لا يوجد الا حائط واحد كامل في الجانب الايسر ، به باب تغطيه الستائر وبعض الكراسي على جانبية . الجدار الداخلى - المواجه للمشاهد - له نفس ارتفاع الحائط في الجزء الذى يليه فقط . من الشمال لليمين نرى مدفأة مثبتة بالجدار علقت فوقها لوحة مصورة من الرسم الحديث ، وباب آخر تغطيه الستائر ، يليه مصباح على قاعدة طويلة وأريكة ملتصقة بالحائط . عند منتصف الأريكة لا نتمكن من رؤية الحائط لانه يتلاشي في خط متعرج قرب الباب حتى يصل الى وسطها ثم يستمر خلفها نحو اليمين مكونا قطاعا لا يزيد ارتفاعه على متر واحد ينتهى عند الزاوية اليمنى الخارجية للمنصة .

بجوار الأريكة وحتى هذه الزاوية يقوم دولاب كتب منخفض يشغل بالضبط هذا القطاع ويبدو في وسطه باب صغير لقسم منه خاص بالمشروبات . أمام الأريكة منضدة زجاجية منخفضة فوقها اناء زهور فارغ .

قرب الزاوية اليمنى السابقة للمنصة يوجد مقعد كبير بمساند ، على يساره

منضدة فوقها جهاز تليفون ، وسط الحجرة نرى سرير اطفال من البرنز يدور على عجلات متحركة وبجانبه - الآن - أحد الكراسي التى يجب أن تكون بجوار الحائط على اليسار .

يمثل المستوى التالى مكتبا عاما ، ويقوم على ارتفاع هذا القطاع من الجدار الذى يغطيه دولاب الكتب ويتكىء عليه في منزل عائلة بارنيس . يرسم شكل لام (L) عريضة يبدأ مصراعها الاول حيث ينتهى تلاشى الجدار الداخلى - المواجه للمشاهد - في المنزل المذكور ، ويمتد الى نهاية خشبة المسرح من اليمين ، أما مصراعها الثانى فيتقدم من هناك نحو فوهة المسرح وينتهى تقريبا فوق منتصف الحافة اليمنى للمنصة الأولى ، وعلى نفس ارتفاع المكتبة يقوم حائط يحددها مواجهة .

ويمكن الصعود لهذا المكتب العام من مكانين ، أحدهما يقع على اليسار حيث لا يوجد جدار وذلك بسلم غير مرئي يفضي الى حافة الجدار الداخلى للحجرة الاولى ، أما المدخل الثانى فهو عبارة عن سلم متنقل مثبت بين الحافة اليمنى للمنصة السفلى والجزء البارز من العليا ، وبالتالي فهو يقوم من نفس الخط الاسفل للحائط المحدد بالمواجهة حتى يصل الى ارتفاعه ثم يتلاشى عند المنصة العليا بجانب المكتبة .

المثلث الذى يتشكل على يسار السلم يمثل زاوية منفرجة مع المكتبة وهو جزء من جدار عائلة بارنيس ، والجزء القائم على يمين السلم يرسم بدوره شكل جدار مثلث مكونا قطعة من الحائط الذى يعتمد عليه نفس هذا السلم .

المكتب العام مخطط بعناية ، جداره الداخلى - المواجه للمشاهد - به باب قرب الجانب الايمن ، ومثلما رأينا فى حجرة عائلة بارنيس - وان كان ذلك فى اتجاه عكسى - ينهض خط متعرج من الزاوية العليا على يسار المنصة ممثلا قطاعا افقيا قصيرا للجدار ، ثم يعود ليصعد حتى يصل الى قمة ارتفاعه ابتداء من منتصف الحجرة حتى الزاوية العليا من الناحية اليمنى . وكذلك فجدار الجانب الايمن من المسرح غير كامل ، فقرب الزاوية المذكورة يتلاشى فى خط متعرج ممتد حتى الزاوية الداخلية اليمنى للارضية . وفى وسط حرف اللام (L) وبانحراف مائل توجد منضدة مكتب عليها حوافظ واوراق «وتليفون» متعدد الخطوط ، وخلفها مقعد كبير ، كما ان على يسارها كرسيًا ، وعند الجدار الداخلى الداخلى المواجه للمشاهد « كنية » متداعية على يسارها مشجب ، وفى الركن منضدة عليها آلة كتابة وخلفها كرسي .

كل هذا يكون حجرتين متصلتين على ارتفاع مختلف ، وبالرغم من أنهما متجاورتان فى المكان على المسرح الا أن لكل منهما مناخا متميزا ، فالمظهر العام للحجرة الاولى أنيق ولطيف ، أما الثانية فهي باردة ولا طابع لها :

حافة المسرح عريضة من الجانبين ، تسمح للممثلين بحرية الحركة فى الدخول والخروج ، وعلى الجانب الايسر منها - أمام منزل عائلة بارنيس - يقوم مقعد حجرى من النوع المثبت فى الحداثق العامة .

وفى الفراغ ذى الزاوية القائمة الذى تتركه المنصتان على حافة المسرح اليمنى مقعد كبير بمسندين طويلين ، وعلى يساره كرسي . وهذا هو ركن الاستشارات للدكتور بالمى .

شخصيات المسرحية

Senor de Smoking

رجل يرتدى سترة السهرة

Senora en Traje de Noche

سيدة تلبس ملابس السهرة

Secretaria

سكرتيرة

Doctor Valmy

الدكتور بالمى

Mary Barnes

مارى بارنيس

Abuela

الجدة

Daniel Barnes

دانييل بارنيس

Marsan

مارسان

Paulus

باولوس

Pozner

بوثنير

Luigi

لويجى

Anibal Marty

أنيبال مارتى

Lucila Marty

لوثيلا مارتى

Enfermero (no habla)

الممرض ((لا يتكلم))

تدور أحداث هذه المسرحية فى سوريا وهى بلد بعيد فى عصرنا
الحاضر ، اليمين والشمال بالنسبة للمشاهد .

منتديات مكتبة العرب

<http://www.library4arab.com>

الفصل الأول

(تنبث موسيقى مرتجفة لرقصة «التويست» من « بيانو » غير منظور . الستار لا يرفع ، تبدو من الناحية اليسرى سيدة ترتدى ملابس سهرة أنيقة وتتحلى بأثمن المجوهرات . وعلى الفور يبدو من الناحية اليمنى رجل يرتدى سترة السهرة الرسمية « سمو كنج » . السيدة شقراء وما زالت في ريعان الشباب ، أما الرجل فذو مظهر أنيق ، يتسمان ثم يبدأان في الحديث بثقة ولطف ، تخفت الموسيقى قليلا)

الرجل : سيداتي

السيدة : سادتي

الرجل : اصدقاءنا الاعزاء

السيدة : نحن نعرف القصة التي سيحكونها لكم

الرجل : حكوها لنا من قبل

السيدة : وهى زائفة

الرجل : زائفة ، أو على الأقل مبالغ فيها إلى حد كبير

السيدة : وأنتم لم تجتمعوا ها هنا كي تصدقوا أى شئ ، بل جئتم لتمضية وقت لطيف .

الرجل : وأنتم تعرفون الوسيلة الناجحة ، وهى الاستمتاع بما يحكى دون الاعتقاد في صحته ، نريد أن نذكركم

بذلك لأنه دائماً يوجد بعض السذج ممن يصدقون كل ما يقال لهم من هراء .

السيدة : أو بعض الاشخاص ممن لا زالت لديهم هواية —
« المليودراما »

(يرفع الستار في ضوء خافت ، على المقعد ذى المساند الطويلة .
يستريح الدكتور بالمى مستغرقا في التفكير ، تجلس « سكرتيرته »
على الكرسي المجاور له ويدها قلم وكراسة وهى تنظر اليه بترقب .
في سرير الاطفال الموجود في منزل عائلة بارنيس يرقد طفل لا
يتجاوز عمره عدة شهور وقد جلست إلى جواره الجدة ترعاه) .

الرجل : فلو كان بينكم بعض هؤلاء الأشخاص فنحن نكرر
لهم شيئا معروفا ، كل من يحكى قصة يزيد عليها .

السيدة : ويقر بها ، كأنها وقعت دائماً إلى جانبنا .

الرجل : وهذا ما يجب علينا ايضاً أن نوضحه ، فلو كان قد
حدث شيء من هذا فليس بيننا ، هذه الاشياء ربما
تحدث — لو كان ذلك حقيقة — في بلاد بعيدة .
ما زالت في مرحلة همجية .

السيدة : في بلد بعيد

الرجل : اذن . . لتظلوا هادئين ، فالقصة — مع احتمال انها
زائفة — قد وصلتنا عن بلاد بعيدة ، ولا تمسنا في
قليل أو كثير .

السيدة : ولا تفقدوا ابتسامتكم على وجه الخصوص ، فالعلم ما
زال مليئاً بالاحزان والمصائب ، لكن هذا هو بالضبط
الثمن الذى ندفعه لتتعلم الابتسام .

الرجل : ان البسمة هي اجمل ما اكتشفته البشرية ، فلا تفقدوها .
السيدة : لا تفقدوها مطلقا .

(أخذ الرجل يقترب من المرأة خلال المنظر السابق)

الرجل : والآن . . . تستطيعون السماع .

(ينحني الاثنان برفق ثم يتأبط الرجل ذراع السيدة ويخرجان من ناحية اليسار . تستمر الموسيقى المنبثقة من « البيانو » بدون انقطاع ولكنها تتحول من موسيقى رقصة « التويست » إلى مقطوعة « شوبان » « ليالى المنخفض الأكبر » . يترأصد الضوء على الدكتور و « سكرتيرته » ، الدكتور بالمى يرتدى حلة بسيطة ومعتدلة ، يناهز الأربعين من عمره ، وان كان يبدو مرهقا ، أما السكرتيرة فهي ذات مظهر حسن وليست أصغر منه بكثير) .

السكرتيرة : تريد أن نترك هذا الآن يادكتور ؟

الدكتور : لا . كنت أتذكر ، هل يمكنك أن تعيدى القراءة ؟

السكرتيرة : (محاولة فك رموزها » انتهت القصة الأولى .

الدكتور : شكرا . (يملى) انتهت القصة الأولى ، فلننتقل اذن إلى الثانية ، لكن قبل ذلك ، (يصمت مفكرا ثم ينهض) قبل ذلك اسمحوا لى بملاحظة (يتقدم خطوات ثم يتوقف) فعندما نقرر نشر تاريخ الحالات المرضية كل الاطباء يفضلون حكاية الحالات التى تنتهى نهاية سعيدة ، مثلهم في ذلك مثل كتاب القصة الضعفاء ، لكن هؤلاء الذين يضعون موضع الشك مهارتهم المهنية ربما كانوا أكثر نموذجية . . . (ينظر إلى السكرتيرة) .

السكرتيرة : نموذجية .

الدكتور : نحن مثل المرضى نريد أن ننسى أخطاءنا ، لكنهم يوما ما يهرعون إلى استشارتنا ، ونحن - ذات يوم أيضا - ننشر حصيلة ذلك في كتاب ، على أننا لسنا كما يقال قساة لا نعبأ بعذاب الناس . . فذكرى التعساء من هؤلاء الذين لم نستطع أن نمنحهم الشفاء تطاردنا طيلة حياتنا ، وحتى هذا الطبيب الذى يحظى بنعمة النسيان تظل تطارده الذكرى بطريقة مختلفة ، لكنها تطارده .

السكرتيرة : تطارده .

الدكتور : هذه الكتب هى بمثابة اعترافاتنا . . ويجب علىّ أن أقرر أنه . . . في هذه القصة الثانية . . لا أظن اننى تصرفت كما ينبغي ، فعلى الطبيب ان يحتفظ أمام المريض بشعوره الشخصى بالنفور منه ، وهذا ما لم أستطع مداراته بالحكمة اللازمة ، ولو كنت قد اقترفت اثما فللقارىء أن يحكم علىّ . (صمت)

السكرتيرة : . . يحكم علىّ .

الدكتور : وعموما ، فالإنسان في معظم أحواله سوقي ، وهذا ما يسمح لنا بالحصول على بعض النجاح المتواضع ، فالمواقف التى تنتهى بالناس الى المرض لا تتجاوز عادة اقدارهم . لكن . . . ماذا يحدث اذا واجه انسان عادى موقفا فذا ؟

لقد كان مريضى رجلا سوقيا .

السكرتيرة : رجلا سوقيا .

الدكتور : ولم يكن كذلك لفقدانه الحساسية ، ولكن لأنه لم يكن شجاعا ، ولا أستطيع أن اتفادى ما يخامرني من الشك في قدرة الرجال الذين يوجدون في مثل موقفه على التحلي بالشجاعة ، فلا ريب ان هذا نادر وانا نفسي لم أكن أستطيع . .

السكرتيرة : لم أكن أستطيع .

الدكتور : (يتنهد) كان قدامر على وقت طويل وأنا مستقر في عاصمة سوريليا ، وكان « دال باء » يعيش على مقربة من عيادتي .

السكرتيرة : لا مواخذه ! ماذا قلت ؟

الدكتور : دال باء . د نقطة ، ب نقطة .

السكرتيرة : آه ! عفووا .

الدكتور : كان رجلا لطيفا ذا طبيعة منفتحة للوهلة الأولى ، على عكس المرضى ، بعض الناس كانوا يقولون إنه مندوب تجارى ، وبعضهم الآخر يزعم أنه يعمل في إحدى الوزارات ، وزوجته التي لم تعد شابة صغيرة كانت تحبه لدرجة العبادة .

(أخذ يقترب من الجانب الأيسر حتى جلس على المقعد الحجري الذى سلط عليه الضوء الآن) .

كنت أعرفها منذ عامين ، قبل أن تزوج ، فقد عالجتها من بعض الأزمات العصبية التي ألمت بها ، وقد تخلصت منها بسهولة بفضل بعض الأدوية وبفضل الزواج . . . وبعد أن تزوجت كنت أقابلها من حين لآخر اما في

الشارع ، أو عندما تعبر الحديقة القريبة .

(تدخل من اليمين مارى بارنيس ، تعبر المكان باسمه
ثم تتوقف امام الدكتور ، وهى امرأة نحيفة القوام
وناضجة التكوين وجذابة الخلقة ، وتتسم في لبسها
بالأناقة والبساطة معا . بيدها حقيبة وبعض الزهور ،
السكرتيرة تستمر في الكتابة) .

مارى : صباح الخير ، دكتور .

الدكتور : صباح النور يا سيدتى . (ينهض ويمد لها يديه)
هل كنت في السوق ؟

مارى : لا مفر من هذا ، حماتى المسكينة لم تعد صالحة لمتاعب
الشراء ، انظر الى هذه الزهور الجميلة ، أتريد واحدة ؟

الدكتور : انها أبهى وهى في يدك ؟

مارى : رأيتك من بعيد فقلت لنفسى : هل من الممكن ان يكون
الدكتور هو الجالس على المقعد الحجري ؟

الدكتور : أمكث هنا أحيانا بعض اللحظات ، فالحديقة جميلة

مارى : لم تفهم مقصدى يا دكتور ، أعنى هذا المقعد بالذات .

الدكتور : هذا المقعد بالذات ؟

مارى : (ضاحكة) انها قصة « رومانسية » غريبة ، فقد عرفت
زوجى على هذا المقعد .

الدكتور : أصحيح هذا ؟

مارى : (برقة) نعم ، تعارفنا هنا . . لكن عد الى الجلوس من
فضلك . (تمد له يدها)

الدكتور : (وهو يصفحها) لا يمكن (يضحك) لا أجروا الآن
على انتهاك حرمة . . (بنظرة محترقة) مظهرك الآن
في غاية التحسن .

مارى : كل شيء على ما يرام .

الدكتور : كم يسرنى هذا ، بالرغم من أننى لم أتشرف بمعرفة
زوجك ، حتى الآن ، أرجو أن تبلغيه تحياتى .

مارى : شكرا جزيلا ، سأعرفك به يوما ما . . . اذ أنه دائما
مشغول .

الدكتور : (ينظر اليها باهتمام) طبعاً .

مارى : هل تستطيع ان تأتى لتتشفى معنا ذات ليلة ؟

الدكتور : هذا لطف بالغ يا سيدتى .

مارى : سأحدثك بالتليفون لأحدد معك موعد الدعوة

الدكتور : اتفقنا اذن .

مارى : الى اللقاء يا دكتور .

الدكتور : مع السلامة يا سيدتى .

(مارى بارنيس تخرج من الناحية اليسرى والدكتور
يتابعها بنظراته) انها عطوف ولكنها متباعدة ، لم تحدثنى
في التليفون على الاطلاق ، في حقيقة الأمر كانت
لا تزال شخصا عصيبا ، كان لديها طفل ذو شهـور
قلائل ، حماها كانت عجوزا شبه صماء لم تبادلنى
الحديث في أى مناسبة . يتساقط الضوء على البقعة التى
يوجد فيها سرير الطفل وبجواره الحدة ، تتحول الموسيقى

المنبعثة من « البيانو » لتؤدي دون انقطاع مقطوعة
« أغنية المهد » للموسيقار « برامز » الدكتور بالمى
ينفث بعض الزفرات ويأخذ في الاقتراب من الجانب
الأيمن .

نحن الأطباء النفسيين نعرف جيدا ان كل تاريخ
بشرى - مهما كان كريها - يريد أن يكون قصة حب
وجمال . وهذه القصة الثانية تريد بدورها ان تكون
كذلك . ولهذا أعتقد انه بدلا من أن أحكم عليها
بالصمت ربما كان من الافضل ان اكشف عما ينبض
في أعماقها - ولو مقنعا - من الحب والجمال اللذين
نبعث جميعا عنهما .

(ينظر الدكتور الى الجدة بالحاح لكنها لا تجيب ، يحنى
هامته ويخرج من اليمين ، كذلك تنهض السكرتيرة
وتخرج في أعقابه ، الجدة تتحدث بينما تنساب موسيقى
أغنية المهد) .

الجدة : أهلا بالشاطر ! . . تعرف الآن جدتك . . هيه ؟
أو أنك تطلب منى الحكايات ؟ اضحك . . اضحك . .
أبوك أيضا كان يطلق الضحكات لأحكي له الأقاصيص
وكان يفهمها مثلك . . لا شك أنك تفهمها ، أنا أعرف
هذا جيدا ، اذن فلتسمع : كان « يا ما كان » . . في
قديم الزمان . . طفل صغير ، اجمل من الشمس . اسمه
دانييليتو (تضحك) ها أنت تعرف اسمك يا ماكر ،
لم أكن أقصدك يا « عبيط » ، فهذه هى الحكاية التى
كنت أقصها على أبيك (تنهد وقد تغيرت نبرة صوتها)

آه ! يا الهى ! ... اسمع يا سيدى : كان لدانييليتو
أم تعبده ، حسنا ! وجدة .. وكانت أمه تقول :
دانييليتو سيكبر ويشتد عوده ويصبح مثل « القبطان » ..
أما هو فكان يبتسم .. ولما كان في غاية الجمال فان كل
البنات سيصبحن مجنونات به ... ودانييليتو يبتسم ،
ولما كان في غاية الطيبة فان جميع الناس يريدون أن
يكسبوا صداقته ... (تنهد) آه ! يا الهى ! ولما كان
في غاية البراعة فعندما ينمو شاربه سيكون فرصة أمه
العجوز ، ويسافران معا لزيارة كل بلاد الله الجميلة ،
ويستقبلهم الناس بالهتاف : عاش دانييليتو العظيم ...
أما هو فيبتسم ... (يصمت البيانو وترفع الجدة رأسها)
أعتقد أنى سمعت الباب ، (تنهض ، تبدو مارى الى
الخلف ويدها الحقيبة والزهور وصحيفة مطوية) .

مارى : (تكلمها بصوت مرتفع جدا) أهلا بالحدة . تريدين
الصحيفة ؟

الحدة : طيب .

(تأخذها وتبحث في جيوبها عن المنظار ، مارى تضع
الزهور في انائها على المنضدة ثم تترك الحقيبة على الكرسي
المجاور لسرير الطفل) .

مارى : هل عذبك الولد ؟

الحدة : ما هذا ؟ لم يصح من نومه الا منذ لحظات (تذهب
للجلوس على المقعد المجاور للتليفون وتضع النظارة على
عينها)

مارى : (مداعبة الطفل) ماذا تقول يا « كتكوتى » ؟ . فرحان

لأن أملك عادت ؟ نعم ! . هيا نرى كيف حال
مؤخرتك يا خنزير فأنت مثل نافورة الميدان) تدخل
يدها تحت لفائفه وتتحسس بينما تنظر اليها الجدة

الجدة : غيرت له الآن . (تواصل القراءة)

مارى : يا سلام على جدتك ، هيه . . كتكوت ؟ تعمل كل هذا
لانه يسعدها رؤية اشياك . ولا تظن أنى الأخرى
أستطيع ان أظل بدون رؤيتها قبل الاكل ، لا يهملك
(تنظر الى ساعتها) حالما تأخذ البرازة ستفتح الصنبور
(تعتدل) هل تكلم دانييل في التليفون يا جدتى ؟

الجدة : هيه ؟

مارى : دانييل تكلم في التليفون ؟

الجدة : لا . . لم يتكلم .

مارى : (للطفل) لا تنظر الى هكذا ، فأنا أعرف ماذا تريد

(تداعبه بلطف ثم تأخذ حقيبتها لتمضى) .

الجدة : هذه الصحف تزداد سخافة يوما بعد يوم .

مارى : لكن . . جدتى ؟

الجدة : هه ؟

مارى : (تذهب نحوها) لقد جاءت اليوم بأخبار محطة الفضاء
التي أطلقناها ، ألم تقرأى الصفحة الأولى ؟

الجدة : أنا دائما أذهب الى الصفحات الأخرى .

مارى : (تهز رأسها باسمه) سأذهب لاعداد رضعة الطفل

(تمضى نحو اليسار) .

الحدة : (بضيق) عادوا مرة أخرى لتغيير برامج التلفزيون
هذه الليلة لن يعرضوا « الحى الشرقى »

مارى : (تتوقف وتبتسم) أنا آسفة من أجلك .

الحدة : (تترك الصحيفة على المنضدة ثم تقوم وهى تخلع
منظارها) ألم تأت ساعة الرضعة ؟

(تذهب نحو الكرسي المجاور لسرير الطفل وتحمله الى
ركنه) .

مارى : قلت لك الآن اننى ذاهبة لاعدادها ، لماذا لا تضعين جهاز
السمع ؟

الحدة : أنا أسمع جيدا .

مارى : (مبتسمة) لست اليوم على ما يرام (تتأهب للخروج)

الحدة : (تخطو في اتجاهها خطوتين) متى تنتهى اجازتك ؟

مارى : ألا تعرفين انها لاجل غير مسمى ؟

الحدة : ألا تفكرين في العودة لمدرستك ؟

مارى : (بصوت منخفض) تريدن أن أذهب ، أليس كذلك ؟

الحدة : ماذا ؟ أقول لك هذا لانك محتاجة للعمل الذى يشغلك

ويلهيك ، فأنت تقريبا لا تخرجين وأنا الآن أصبحت
عجوزا .

مارى : (باسمة وبصوت منخفض) إنك تحبين أن تظلى

وحدهك مع ابنك وحفيدك ، هذه يا جدتى ؟

لكنى لا أكون أى حقد (تحاول الحدة السماع فتتقدم
نحوها خطوة)

الحدة : (مغیظة) يمكنك الكلام بصوت أعلى !

مارى : (تذهب نحوها) كنت أقول لك إننى مبسوطه جدا
هكذا . (تقبلها)

الحدة : (بجفاف) هيا الى المطبخ ، علينا تهوية محتوياته .

مارى : (ضاحكة) والرضعة ؟ (تمسكها من ذراعها ويمضيان
الى اليسار)

الحدة : (توقفها) اسمعى . . ودانييل ؟ هل هو مبسوط ؟

مارى : (يجد) لماذا هذا السؤال ؟

الحدة : أنتما دائما تتهاوسان .

مارى : (مضطربة) انه متعب ، لديهم الآن عمل كثير .

الحدة : (مفكرة) لقد أصبح غريب الاطوار .

مارى : (بدون أن تنظر اليها) بل هى خيالاتك (تسحبها من
ذراعها ثم تتوقف ويشرق وجهها) اسمعى !

الحدة : هل نادى أحد ؟

مارى : (تعطيها الحقيبة) لقد سمعت صوت المفتاح .

(تذهب بسرعة نحو الخلف في الوقت الذى يظهر فيه
دانييل وهو رجل ذو مظهر حسن وطابع رياضى فترتمى
فى ذراعيه) .

دانييل : أهلا صغيرتى (يتبادلان قبلة)

مارى : ستبقى للغداء ؟

دانييل : الا إذا استدعونى .

مارى : يا للفرحة (تعود لتقبيله)

الحدة : (متممة) هاهما كالعادة !

دانييل : أهلا أمى (يذهب نحوها ومارى تتبعه وهى متعلقة بذراعه)

- الجدّة : أهلا بك يا بني (يقبل كل منهما الآخر)
- مارى : هل تريد حلوى منزلية ، عندنا كفاية من البيض .
- دانييل : فكرة طيبة . والكتكوت ؟ (يذهب نحو سرير الطفل
تبعه زوجته)
- مارى : أصبح مثل القمر ، انظر من الذى جاء يا كتكوت
(يقفان على جانبي السرير)
- دانييل : أهلا بالقط الصغير (ينحنى ويقبل الطفل) أرني ضحكك،
هيا . . . هكذا (يضحك الزوجان ، وتقرب الجدّة
باسمة وهى تشعر بأنها مهملة قليلا) السيد باولوسى
يسلم عليك كثيرا يا أمّاه (يذهب نحو المكتبة ومارى
من خلفه) .
- الجدّة : انه دائما من أهل الواجب .
- دانييل : نعم فهو لا ينسى أبدا .
- ان يحملنى لك السلام (يخرج مسدسا من جرابه
كان يحتفظ به في جيبه الداخلى ثم يتأكد من صمام
الأمان ويضعه فوق المكتبة) منذ كم سنة وانت لا ترينه؟
- الجدّة : عندما يكبر الطفل أظن انك ستبحث عن مكان آخر لهذا
السلاح .
- دانييل : طبعاً يا أمى .
- مارى : (وهى تحيط خصره بذراعها) ألا تعتقد أن السيد
باولوس لا بد وأنه كان حبيبا قديما لأملك ؟
- دانييل : (يضع يده على كتفها) من ذا يعرف ؟ لكنه كما تقول
هى « أهل واجب » (يذهب نحو سرير الطفل) صورة

مجسمة للواجب واللياقة . . . أف !! (« يفرقع »
بأصابعه لابنه الصغير) كيف حالك يا ظريف ؟ (يضحك
تعود ماري لتتعلق بذراعه)

الجدّة : هل ستبقى للغداء ؟

دانييل : (يهز رأسه بالإيجاب) نعم ، اليوم لدى حظ !! (يذهب
نحو المقعد ويجلس على مسنده ناشرا الصحيفة) لعلك
قرأت الخبر العظيم ، هه ؟

ماري : (وهي تقرب منه) هذا رائع !

دانييل : هذه الاشياء ترفع من روحنا المعنوية ، فعملنا يساهم
بدوره في هذه الانتصارات .

ماري : هل تشعر حقيقة . . . بارتفاع روحك المعنوية ؟

دانييل : (ينظر الى عينيها) أعتقد ذلك .

الجدّة : (دون أن تكف عن النظر اليهما) سأذهب لاعداد
الرضعة (تشق طريقها نحو اليسار ويدها الحقيقية)

ماري : (بسرعة) إنها تشعر بالغيرة ، قل لها شيئا .

دانييل : هل سأل أحد عنى يا أماه ؟ (يذهب نحوها)

الجدّة : جاء صبي يركب دراجة للسؤال عن مقالك .

دانييل : (يلوى لسانه بضيق) ليس لدى وقت لكتابة أى شيء .

الجدّة : لقد قلت له انك ستخبرهم .

دانييل : (وهو يداعبها) حسنا فعلت .

الجدّة : دعنى (الطفل لا يستطيع الانتظار) تخرج من ناحية
الشمال) .

مارى : هى تلومنى لا ننى لم أذهب أنا ، لكننى أريد أن احدثك عنها ، أتعرف ؟ تقول بأنها تشعر أن أطوارك غريبة هذه الأيام .

(ينظر إليها مليا ، ثم يذهب ببطء إلى المقعد المجاور للتليفون) انها أذكى مما تبدو .

دانييل : لا تظنى ذلك ، فهى دائماً معلقة بى ، بسبب وبدون سبب (تصدر عنه زفرة حارة ثم يجلس) .

مارى : (تقترب وتجلس على مساند مقعدة) حقيقة . . . تشعر بانك أحسن ؟ (تداعبه في عنقه) .

دانييل : (يغمض عينيه) لا أعرف .

مارى : لقد قلت هذا لتوك .

دانييل : كى تنفرج أسايرنا أمامها . . أو ربما . . . لكى أعتقد أنا نفسى في ذلك .

(لحظة صمت قصيرة ، تعود الجدة للظهور من اليسار ويدها « شيشب »)

الجدة : (متقدمة نحوه) اذا كنت ستبقى ، فاخلع حذاءك .

مارى : (بصوت منخفض) وضعت جهاز السمع .

(وفعلاً نرى ان الجدة قد وضعت الآن مكبر صوت صغير في أذنيها ، دانييل يخلع حذاءه) .

الجدة : (وهى أمامه) وجهك منقبض ، هل عندك صداع ؟

دانييل : لا ، ابدا ، (يحاول الابتسام) انا بحالة جيدة (يضع

الخف في رجليه ، وتأخذ الجدة الحذاء ثم تذهب نحو
سرير الطفل وتبدأ في رفعه) .

الجدة : هيا للرضعة دانييليتو ، فنحن هنا لا داعى لوجودنا
(تترنم)

تناول قرص فينوس

واضحك من ألم الرءوس

دانييل : (الذى يتبادل مع زوجته النظرات) ماذا تغنين يا أمى ؟

الجدة : هه ؟ لا شىء (تستمر في الترنم وهى تدفع أمامها سرير
الطفل ذا العجلات)

ما أسعد الدنيا ، فينوس قد وصل

كالسحر اذ جاء بالسعد والأمل

مارى : انها دعايات الأدوية المقوية في التلفزيون !

(تخرج الجدة من الجانب الأيسر وامامها سرير الطفل ،
يتباعد صوتها رويدا رويدا ، يخفى دانييل رأسه بين يديه
بينما تقترب ماري من مقعده) سترى كيف انه شىء
عابر .

(تنحنى وتقبله بعاطفة حارة)

دانييل : اننى أشعر بالخجل .

مارى : اسكت من فضلك ، كل ما هناك أنك مدلل جدا .

دانييل : بالله عليك لا تسخرى منى .

مارى : لا تعر الأمر هذه الأهمية ، كل ما حدث انك كنت
مرهقا .

دانييل : لكم كنت اكثر ارهاقا في مرات أخرى ، ومع ذلك فلم يحدث لي هذا أبدا

(ينهض فجأة ويأخذ في التجول بغيظ في الحجرة)
هذا غير مفهوم !

مارى : (بنوع من فقدان الصبر) اتفقنا على ألا نزعج ، اعتقد ان هذه الاشياء عادية (تذهب نحوه) دانييل ! ...
(تحضنه وتقبله في شعره)

دانييل : مارى ؟ .. ولو لم تنته هذه الحالة ؟

مارى : ستنتهى !

دانييل : أنت ... لن تطيق ذلك .

مارى : أنا زوجتك .

دانييل : (وهو يتعد عنها في هياج) لن أستطيع تحمل هذا العذاب .

مارى : (بحزن) لا تحمل الأمر هذا الحمل .

(صمت طويل ، وفجأة تسمع ضجة عندما تعود الجدة الى الظهور وهى تقلب ملعقة في كوب ماء . تأخذ مارى في قلب صفحات الصحيفة) .

الجدة : خذ هذا .

دانييل : هه ؟

الجدة : بالتأكيد عندك صداع .

دانييل : لكن اذا كنت لا أشعر بأى ...

مارى : (بصوت منخفض) خذه !

- دانييل : شكرا لك يا أمي
- الجدة : (تقول لمارى بينما يتناول هو السائل) سأذهب لا ضع اناء الطهى على النار .
- مارى : أنا ذاهبة الآن فوراً يا جدتي . (تتناول منه الجدة الكوب ثم تنظر اليهما وتخرج مرة ثانية)
- دانييل : اذهبي معها ، لا فائدة من الكلام في هذه الاشياء .
- مارى : (تتأهب للخروج ولكنها تتردد قليلا ثم تعود) لماذا لا تذهب لا استشارة الدكتور بالمى ؟
- دانييل : لا تكوني ساذجة يا معلمتي الصغيرة ، فالأطباء النفسيون لا يوضحون لك أى شيء ، بل على العكس يزيدون الناس ارتباكاً .
- مارى : (يتزايد الضوء في حجرة المكتب العام التي يدخل اليها مارسان من الباب الخلفي ، وهو رجل في حوالى الخامسة والثلاثين من عمره ، يتوجه الى التليفون ويبدأ في ادارة قرصه) بالنسبة لى ، لقد خفف عنى كثيرا جدا .
- دانييل : (بابتسامة حزينة) لقد خفف عنك الزواج . . يا طفلى الصغيرة .
- مارى : هل تريد ان أطلب لك منه موعداً ؟ يمكننا أن نذهب معا
- دانييل : ان هذا يكون أسوأ ، فأنا لا يمكن أن أطيق ذلك . (يذهب للجلوس على المقعد)
- مارى : (وهى تتنهد) سأذهب مع أمك .
- (تتوجه نحو اليسار ، مارسان انتهى من ادارة الرقم ، يدق التليفون فينظر اليه دانييل بدون ان يحرك ساكناً) .
- انتظر . . سأرد أنا عليه .

(تذهب إلى التليفون وتتناول السماعة)

آلـو... .

مارسان : (وهو يتسم) السيدة بارنيس ؟

مارى : نعم ، من أنت ؟

مارسان : مارسان ، زوجك موجود ؟

مارى : (وهى تغطى السماعة بيدها) انه مارسان ، هل أقول
له انك لست هنا ؟

دانييل : لا يمكنك ان تعملى هذا يا مارى !

مارسان : هل زوجك موجود ياسيدة بارنيس ؟

مارى : سيأتى الآن حالا .

مارسان : عليك أن تسامحينا إذا نزعناه منك من جديد . . .
أسمعيني ياسيدتى ؟

مارى : نعم أسمعك (دانييل يمد يده وهى تشير اليه بأن ينتظر)

مارسان : أحيانا أشعر بالسعادة لاننى مازلت أعزب . . فلا بد
انه شىء سخيـف للغاية أن يضطر الانسان بكثرة إلى ترك
زوجة فاتنة مثلك .

مارى : من فضلك ، لا تسخر منى .

مارسان : (بجدية) أنت تعرفين أننى لا أسخر.

مارى : ها هو زوجى (تترك السماعة لدانييل)

دانييل : ماذا قال لك ؟

مارى : سخافات .

- دانييل : (متحدثا في التليفون) ماذا وراءك يا مارسان ؟
- مارسان : سأمر عليك بالسيارة لتأتي معي .
- دانييل : ماذا ؟
- مارسان : أوامر أصدرها « بابا »
- دانييل : اسمع . . اسمع . . « بابا » تركني حرا هذا المساء .
- مارسان : لقد كلموه في التليفون يتعجلونه ، علينا مرة أخرى أن نأتي بهذا العصفور .
- دانييل : (وهو يعض شفتيه) ألا يمكن أن يصحبيك دالتون أو بوثر ؟ كنت أريد الذهاب للطبيب . .
- مارسان : (يضحك) دعك من هذه الثثرة ، فهنا أيضا يوجد طبيب وليس لديك أى شيء تشكوه . .
- أم أن العمل ربما كان يثقل عليك ؟
- دانييل : لا تكن أحمق .
- مارسان : (ضاحكا) على أية حال ، ما زالت أمامك بضع ساعات من الفراغ ، فالحفلة المسائية لن تبدأ إلا في الليل ، أما الآن فأنا ذاهب على الفور .
- (يضع سماعة التليفون ودانييل يفعل ذلك هو الآخر ينطفئ النور في المكتب العام ، مارسان يهبط على السلم غير المرتئي إلى ناحية اليسار)
- مارى : هل أصحبك إلى الطبيب ؟
- دانييل : (باستنكار) كانت تعلقة . . أحضري لي الحذاء .
- مارى : هذا ما كنت أخشاه .
- (تخرج من الشمال ، يتجول دانييل في الحجرة

باضطراب ظاهر ، ثم يتجه فجأة إلى المنضدة الصغيرة
يمسك بدليل التليفون ويبحث عن رقم ما ، يعود
التليفون للرنين فينظر اليه دانييل بغیظ ثم يتناول سماعته

دانييل : آلو .. (تعود ماری ومعها حذاؤه) .. نعم ..
تكلمی .. لحظة من فضلك « (يمد يده بسماعة
التليفون إلى زوجته) احدى صديقاتك .

ماری : من أجلی أنا ؟ (تتناول السماعة بينما يأخذ منها دانييل
حذاءه ويبدأ في تغيير ملابسه) من ؟ .. (بفرح)
آه .. نعم ، لكنی لا أكاد اذكر صوتك .. ذات
الضفائر ؟ آه .. يا للفرحة .. لابد وأنت قد أصبحت
الآن امرأة — . طبعاً ! ... أنا أيضاً تزوجت لماذا
لا تأتين هذا المساء ؟ (تضحك) انتظری . (تغطي
سماعة التليفون بيدها) لا تجروء على المجيء إذا كنت
ستبقى بالمنزل ، هی دائماً خجول ، انها تلميذة قديمة
لی .

دانييل : بالطبع ، قولى لها أن تأتى ، فلعلها تسليك قليلاً .

ماری : اسمعی ، تعالى في السادسة ، وتناولی معی وجبة العصر
الخفيفة ، لا تتأخری ، هه ؟ قبلاتی الكثيرة يابنتی .
إلى اللقاء . (تضع السماعة) انها في غاية اللطف
وسأعرفك بها .

دانييل : (وهو يمد اليها يده بالخف) نعم .. لكن في يوم
آخر .. اسمعی ، يجب على الآن أن أتحدث بالتليفون
ثم أمضى بعد ذلك ، اذهبي مع أمی ، ولا تقولى لها منذ

الآن اننى سأضطر لمغادرة المنزل . . . فقد كان املها
كبيراً في بقائى .

مارى : طيب (تقبله) فكر فيما قلته لك ولا تتخاذل يا حبيبي
(تذهب إلى الناحية اليسرى ثم تلتفت) هل ستعود
هذه الليلة ؟

دانييل : لا أظن .

مارى : يالها من رئاسة !! (ترسل له قبلة في الهواء فيرد عليها
دانييل بمثلها ، وعندما يراها تخرج يسرع بالبحث في
الدليل عن الرقم بعصية وعندما يجده يدير قرص
التليفون ، لحظة انتظار ينظر خلالها بتوجس إلى اليسار)

دانييل : دكتور بالمى ؟ . . هل يمكن أن تحجزى لى موعداً في
مع الدكتور اليوم ؟ . . اسمعى يا آنسة . . أنا دائماً
مشغول بطريقة فظيعة ، وليس عندي لحظات فراغ
الا هذا المساء . . نعم . . سأنتظر (سكتة) آلو . .
اتفقنا في الساعة الرابعة . . شكراً جزيلاً . . هه ؟ . .
بارنيس ، عفوا .

(يضع السماعة ثم ينفث زفرات عميقة ، ويظل ذاهلاً
للحظات قبل أن يأخذ طريقه إلى الباب الخلفى للمسرح .
تدخل الجدة من اليسار تتبعها مارى ويعود دانييل) .

مارى : أنت تعرفها جيداً ، لقد فهمت ما حدث .

الجدة : هل ستذهب ؟

دانييل : (يمضى نحوها ويقبلها) لا حيلة لى في الأمر . .
غدا نتغذى سوياً (يعود للخروج)

الحدة : ألا تحمل معك هذا السلاح ؟

دانييل : آه ! .. نعم (يتناول المسدس ويحتفظ به) وداعا .
(يخرج ، ومارى تذهب بدورها من الناحية اليسرى) .

الحدة : (وهى تنهد) آه .. يا الهى ! (تخرج من اليسار .
يتلاشى النور من منزل عائلة بارنيس وينمو في الناحية
اليمنى حتى يضيء الدكتور بالمى ، اللحن الليلي لشوبان
يسمع من جديد وان كانت خافتة ، تجلس السكرتيرة
ويدها القلم والكراسى الى جوار الحائط الجانبي) .

الدكتور : يقول زملائي اننى طبيب نفسانى فاشل ، ولكننى أضحك
منهم وأدفع لهم من نفس العملة . لست إخصائيا ، ففي
هذا الحى ينبغى على الانسان ان يؤدي كل الادوار ،
وقد درست الامراض العصبية . في الصباح أعمل في
مصحة عقلية ، اما في المساء فأستقبل في عيادتي الخاصة
بعض المرضى ممن يعانون من هذه الاضطرابات ، يمكن
أن يقال اننى طبيب مجرب ذو حنكة ودراية وان كنت
أر تكب من حين لآخر بعض الأخطاء كما أصيب أيضا
كثيرا من التوفيق المفاجئ الذى يعود قبل كل شيء الى
الثقة في الحس .

سيبتسم زملائي عندما يقرأون هذا الكلام . . أنا أعرف
بهم . . فهم يقضون حياتهم في الحديث عن مركبات
النقص أو الإحالات ، وانا لا أكاد أذكر شيئا من ذلك
في هذا الكتاب ، لانه كتاب موجه للقارئ العادى ،
ولو قرأه أحد علماء الاجتماع لا فتقد فيه أيضا الأسباب
العامة التى تتكفل — طبقا لنظرياته — بتفسير كل شيء .

لست الا طبيبا في أحد الاحياء المتواضعة . وان كان للإخصائيين في علم النفس او الاجتماع معرفة أعمق او لنقل أكثر تعقيدا مما أتيج لي ، الا انها عادة أكثر برودا وجفافا ، فأمام تحليلاتهم المتقنة يبدو انه قد تبخر كل شيء ، حتى الألم نفسه ! . . بينما لا أستطيع انا نسيان هذه الاوجاع البشرية . فما يعنيني في الدرجة الأولى انما هو هذا الشخص المحدد الذي يأتي لا ستشارتي وعينه مبللتان بالدموع وقلبه يرتجف .

السكرتيرة : وقلبه يرتجف .

الدكتور : من طبعتي ان أفضل الكشف عن آلام الانسان في مستواه العادى كواحد من البشر ، وان كان هذا لا يكاد يوضح حساسيته المستنفذة الا انه يبعث فيها الحياة . لانه لا ينبغي لنا ان نحاول الوصول لعالم أفضل عن طريق العلم فقط . بل يجب ايضا أن يكون هذا عن طريق الحياء

السكرتيرة : طريق الحياء . (يصمت « البيانو »)

الدكتور : هذه الحالة كانت بالرغم من أى شيء واحدة من أنجح الحالات التي عالجتها ، أقول هذا بدون غرور ، اذ أعتقد أنه كان من السهل على فهمها .

(يلتفت نحو السكرتيرة التي تتقدم في اتجاهه ويدها مذكرة) .

السكرتيرة : المريض الذي حان موعده في الرابعة يا دكتور .

الدكتور : (يتناول منها المذكرة ويطلع عليها) دانييل بارنيس موظف عمومى . . العمر . . . حسنا ، دعيه يدخل .

(تخرج السكرتيرة ثم يدخل بعدئذ دانييل)

دانييل : مساء الخير يا دكتور .

الدكتور : (يتقدم نحوه ويصافحه) تشرفنا بمعرفتك يا سيدبارنيس
إذا لم أكن مخطئاً فقد سبق لى التعرف على السيدة زوجتك
كيف حالها ؟

دانييل : انها على خير ما يرام ، شكرا ، اما المريض الآن فهو أنا
الدكتور : تفضل بالجلوس ! (يقدم له « عليه » السجائر) هل
تحب أن تدخن ؟

دانييل : (يجلس على المقعد الكبير وهو يتسم) شكرا . !
(بينما يشعل سيجارته من « ولاعة » الطبيب تندّ عنه
ضحكة خفيفة) معذرة لو كنت أضحك ، فقد فعلت
معى نفس الشئ تقريبا الذى أفعله مع الآخرين ..
باستمرار ..

الدكتور : تقدم لهم السجائر ؟

دانييل : (مستدركا) نعم ، ولكنى سأشرح لك الأمر في حينه .
الدكتور : (يجلس على الكرسي ويشعل بدوره سيجارة) إذن ..
فلتحك لى .

دانييل : كما ترى ... ليس الأمر سهلا ..

الدكتور : اننى هنا لمساعدتك ، عليك بالهدوء ، وابدأ من أى جانب
سيان عندى !

دانييل : (بعد أن ينفث زفرة عميقة) لعله من الأفضل ان يقول

الانسان كل ما لديه دفعة واحدة . . منذ اثني عشر يوما
يا دكتور وأنا لا أستطيع القيام بواجباتي الزوجية .

الدكتور : هل تخيفك الكلمة ؟

دانييل : ماذا ؟

الدكتور : تريد أن تقول أنك تعاني عجزا جنسيا .

دانييل : (يخفض رأسه) نعم ، ، وهذا يخيفني للغاية .

الدكتور : فلنحاول فهم الأمر بدقة ، هل تشرع في العملية
ولا تستطيع انجازها أم أنك لا تشعر اساسا بالرغبة ؟

دانييل : احاول ولا أستطيع ، لكن لا أعرف ان كنت حقيقة
أشعر بالرغبة ، زوجتي المسكينة تبذل أقصى ما في وسعها
لحى وانعاشى ، لكن بلا فائدة ! أحيانا لا يحدث شيء
على الاطلاق . . وأحيانا أخرى بدون ان استكمل الوضع
اللازم أفضى بما لدى على غير توقع .

الدكتور : حتى الآن لا ينبغي ان تقلق ، فهي أشياء عادية وتحدث
أكثر مما يظن الناس عادة .

دانييل : يسرني أن أسمع هذا منك يا دكتور .

(يطفئ سيجارته في المنفضة المثبتة على حافة المقعد) .

الدكتور : هل سبق ان حدث لك هذا في ظروف أخرى ؟

دانييل : أحيانا لم أكن أشعر بشهوة ، لكن هذا عادى فيما
أعتقد !

الدكتور : هذا الافضاء على غير توقع ، هل عرفته من قبل ؟

دانييل : لم يحدث لى مثل هذا على الاطلاق

الدكتور : هل انت رجل ذو مزاج حاد ياسيد بارنيس ؟

دانييل : نعم . . كنت دائما صاحب مزاج خاص .

الدكتور : هل تحب زوجتك ؟

دانييل : احبها أكثر من أية امرأة أخرى .

الدكتور : وبالرغم من ذلك ، هل يمكن أن تجد نفسك - ولو للحظة عابرة - متعبا منها ؟

دانييل : لا يادكتور . . في بداية الأمر خطرت لى نفس هذه الفكرة وقلت لنفسى يستحسن التنويع ، فمئذ ان تزوجت وأنا لم أفعل شيئا من ذلك ، لكنى هذه المرة سأجرب غيرها . . من أجلها هى !! من أجل أن أعود اليها ! وذهبت بثقة بالغة مع امرأة أخرى كنت أحبها كثيرا من قبل . . . كان شيئا مذلا ومهينا . . . ومن بعدها والخوف يستبد بى .

الدكتور : كم ساعة تفعل في اليوم ؟

دانييل : كثيرا . . لكنى دائما اتمتع بصحة جيدة ، لا . . . لست مرهقا ولا مسمما ، ، لا أشرب . . . ولا أكاد أدخن الا لماما . بل هناك ماهو أكثر من ذلك ، ففى الأيام الاخيرة أخذت بعض الحقن من «الهرمونات» طلبتها من الطبيب الذى يشرف علينا في مقر العمل ، متذرعاً باننى أمر بمغامرة خاصة ولا أريد أن أهمل اثناءها زوجتى . . كل هذا بلا جدوى !

الدكتور : (يهز كتفيه) يبدو انك رجل سليم من ناحية القوى

الجنسية ، على أية حال ، اجبنى بصراحة ، أرجوك ..
فهذا هو الافضل .

دانييل : عن أى شىء ؟

الدكتور : هل شعرت وأنت كبير بأى نوع - مهما كان تافها -
من الميل الجنسى لمن هم مثلك ؟

دانييل : اطلاقا .

الدكتور : وانت صغير ؟

دانييل : على ما أذكر ... أبدا .

الدكتور : هل لديك تجارب أخرى غير [ممارسة الحب مع النساء ؟

دانييل : هذا يتوقف على ما يمكن فهمه من كلمة تجارب .

الدكتور : اعنى إذا كنت تستغنى اراديا عن اتمام العملية للوصول
إلى الاشباع الجنسى .

دانييل : أنا دائما أتم العملية

الدكتور : اذن .. فأنت طبيعى جدا على غير المعتاد ، ياسيد
بارنيس (يتسم) هذا أمر قد يطول ، لكن اطمئن
سنعثر على السبب ، ماهو عملك ؟

دانييل : أنا ؟ ... موظف عمومى

الدكتور : اعرف هذا ، لكن بأى نوع من الوظائف العمومية
تقوم ؟

دانييل : (يتسم) لسنا معتادين على الصراحة فيما يتصل بهذا
الموضوع .. فهناك كثير من الشك وسوء الظن بنا ..
لكن .. لا أفهم العلاقة بين هذا .. و ..

الدكتور : (يحد اليه النظر) هل تنتمى إلى البوليس ياسيد بارنيس ؟
دانييل : (بعد هنيهة) انتمى إلى القسم السياسى فى الامن القومى .
الدكتور : (الذى لا يستطيع ان يتفادى رجفة مفاجئة) انت اذن . .
مخابرات ؟

دانييل : هكذا يسموننا (لحظة صمت ، ينهض الدكتور بالمى
بطء وتثاقل ويشرع فى التجول فى الحجرة مفكرا
صوت دانييل يكتسب نبرات حادة) سيكون مؤسفا لو
كنت أيضا تسيء بنا الظن .

الدكتور : انا لم أقل شيئا من هذا ياسيد بارنيس ، هل هو الدكتور
كليمنس الذى طلبت منه أن يكتب
لك على « الهرمونات » ؟

دانييل : نعم ، هل تعرفه ؟

الدكتور : معرفة سطحية ، ألم تستشره فى حالتك هذه ؟

دانييل : هناك . . لا أريد أن يعرفوا شيئا من ذلك .

الدكتور : مفهوم ! . . كيف بدأت العمل فى الشرطة ؟

دانييل : (وهو يكتب حركة تم عن عدم الصبر) هل من
الضرورى أن أحكى هذا ؟

الدكتور : ربما كان ضروريا .

دانييل : اعمل فى القسم السياسى منذ ثلاثة أعوام ، أما الشرطة
عموما فقد التحقت بها منذ عشرة أعوام . . أصبت
باليتم وأنا لا أزال صبيا صغيرا ، فاضطرت للعمل فى
بعض المحلات ، كنت أريد أن أدرس ، أكتب

(يتسم) حسنا ، أكتب الآن بعض الأشياء
لمجلتنا . فأنا أحب القراءة ، أتعرف ؟ انى من
هواة الاطلاع !

الدكتور : اعتقد أن هذا شيء عظيم .

دانييل : كان رئيسى الحالى صديقا قديما للعائلة ، فأشار على
والدتى ان تقوم باعدادى للالتحاق ، هكذا بدأت
الخدمة ، ومنذ ثلاثة أعوام نقلنى هو بنفسه إلى القسم ،
عندما رأى انى اصبحت ناضجا من الناحية السياسية .
الدكتور : حسنا ، وما هو رأيك في الاسباب الممكنة لهذا
الاضطراب الذى تعانيه ؟ أحيانا ، يشك المريض في
شيء ما . . .

دانييل : أنا .. لا أعرف .

الدكتور : فكر معى ، حادثة ما في مرحلة الطفولة ، تتصل
بالجنس أو بالنشاط الجنى لأبويك . . أو لأحد
الأصدقاء .

دانييل : (يهز رأسه سلبا) حاولت البحث عن شيء من هذا .

الدكتور : هل تذكر بعض الاحلام التى رأيتها أخيرا ؟

دانييل : لا .

الدكتور : (وهو يعاود الجلوس) ألم يحدث لك شيء بالصدفة في
الأيام السابقة له علاقة ما بالجنس ؟ حتى لو كان فى
قراءتك !

دانييل : (بعد لحظة وبدون أن ينظر اليه) لا .

منتديالكتب العربى: لماذا لا تنظر الى ؟

دانييل : (ينظر اليه) قلت لك لا يادكتور !
الدكتور : وبالرغم من ذلك ، يمكننى أن أقول نعم ، فقد طرقت
عينك أمام سؤالى .

دانييل : ربما حدث هذا صدفة !
الدكتور : لا ، ليس بمحض الصدفة ، فأنت رجل بوليس ولا بد
أنك تعرف هذا جيدا ، كما أنك تعرف تقديم السجائر
لمن تستجوبهم كى يثقوا بك ، أيضا ، أنا أعرف هذه
الوسائل البوليسية ، لكن على طريقي الخاصة ، احك
لى !

دانييل : هذا لا علاقة له .
الدكتور : لا تستطيع أن تؤكد ذلك ، احك ، حتى لو كان الأمر
يبدو لك بلا أهمية .

دانييل : ليست المشكلة في انه يبدو لى مهما أو لا ، بل في انه
لا علاقة له بما نحن فيه ، زد على ذلك انه يعتبر من أسرار
المهنة .

الدكتور : ومن أسرار مهنتى انا أيضا ، هنا يأتى الناس يا سيد
بارنيس ليقصوا على أسرارهم .

دانييل : على أية حال ، لا ينبغي لى أن أبوح به .
الدكتور : لك كامل الحرية في أن تلزم الصمت ، لكن . . في هذه
الحالة لا أستطيع مساعدتك ! (ينهض واقفا) .

دانييل : (ناهضا بدوره) انتظر ، مادمت مصمما فسأحكيه لك ،
لكنى لا أرى العلاقة بين هذا و . . .

الدكتور : (بشدة) تكلم يا سيد بارنيس ، لقد جئت الى هنا من أجل ذلك .

دانييل : انها أشياء لا يفهمها معظم الناس ، لكنها ضرورية .

الدكتور : تفضل ! (يجلس ويشير اليه كى يجلس على مقعده) .

دانييل : (بدون أن يجلس) هذا شيء مضحك ! . . ينبغي أن نبحث في جانب آخر .

الدكتور : (بإصرار) احك !

دانييل : على انه . . ليس من حقك ان تحكم على هذه الأفعال .

الدكتور : أنا لا أحكم على شيء . . فأنت الذى ستحكم عليها .
(في حجرة المكتب العام ينمو ضوء غير واقعى يميل الى الاخضرار) .

دانييل : هناك . . كل الناس يذهبون ليكذبوا يا دكتور . . .
لابد أن تأخذ هذا في اعتبارك . . ومنذ عشرين يوما
تقريبا . . كان علينا ان نعامل بصلابة كافية احد المقبوض
عليهم (يضحك بعصبية) و « بابا » كما نسميه فيما
بيننا - كلفنى بأصعب مهمة .

(خلال هذه الكلمات يدخل باولوس رئيس القسم
السياسى من الباب المواجه للمشاهد في المكتب العام ،
ويأخذ مكانه جالسا خلف المنضدة ، وهو رجل متقدم
في السن ، وقد علاه الشيب وإن كان لا يزال يحتفظ
بمظهره الصارم القوى) .

الدكتور : « بابا » ؟

دانييل : اعنى رئيس القسم ، وهو رجل عظيم .
الدكتور : هل أنت الذى أطلقت عليه هذه التسمية ؟

دانييل : لا أذكر ..

الدكتور : هل هو صديق العائلة القديم ؟

دانييل : هو نفسه .

الدكتور : استمر من فضلك .

دانييل : (وهو يتقدم نحو السلم المتنقل) انت تعرف اننا نعيش
الآن في سوريا أياما حرجية ، ونتيجة للاضطرابات
الأخيرة فلدينا في القسم ما يربو على ستين شخصا من
المعتقلين (يلتفت وينظر اليه) ان مهنتى شاقة يا دكتور ،
لكن بدوننا تغرق البلد ، ينبغى أن تفهم هذا .

الدكتور : استمر .

(يأخذ دانييل نفسا عميقا ثم يعود ويصعد على السلم
المتنقل وعندما يراه رئيس القسم يحدق فيه النظر ،
بينما يلتفت في الظلام الركنى الذى يجلس فيه الدكتور)

دانييل : لقد اعترف المتهم الذى كلفتني به سعادتك .. وتركت
لدايتون مهمة نسخ الاعتراف .

باولوس : (وهو ينظر الى ساعة يده) في ساعتين ؟

دانييل : لم يطق أكثر من ذلك

باولوس : حسن جدا يا بنى ، لو استطاع مارسا ان يهز المتهمين
الموكلين اليه لكان بوسعنا أن نتم هذا الموضوع ، تريد
سيجارة ؟

دانييل : (يتقبلها) ومارتى ؟

باولوس : سيأتون به الآن ، لهذا أريدك الى جانبي فعلينا ان نحمله على الاعتراف ، مهما كلفنا الأمر !

دانييل : (يهز كتفيه) بعد كل الذى فعاناه به !

باولوس : عندى فكرة (يدق التليفون فيتناوله) آلو . . (صوته يتغير) رهن اشارتكم .

(يصعد من السلم غير المنظور كل من لويىخى وبوثر وهما يقودان مارتى المكبل بالاغلال ، يشير اليهم باولوس بان ينتظروا بينما يستمر في المحادثة التليفونية. لويىخى رجل نحيف ومبتسم دائما وان كانت تلاحظ في حركاته دلائل شىء مبهم ، اما بوثر فهو بدين وهادئ ، المعتقل — أنيبال مارتى — لا يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره ، وهو يرتدى قميصا و « سروالا » « قديما » وصندلا . يبدو عليه انه لم يخلق ذقنه منذ أيام عديدة فمظهره بشع للغاية كأن عليه سيماء الموت) .

نعم يا سيادة الرئيس ، اعترفوا كلهم كلهم تقريبا . . أعتقد انه في خلال يومين . . أنا طوع أمرك ! (يضع السماعة) بوثر ، اخلع عنه السلاسل (بوثر يفك أغلال المعتقل ، يتحسس مارتى معصمه باصابع مرتجفة ، يجلس لويىخى على الأريكة ، اما باولوس فينهض ويقرب من المقبوض عليه بينما ينحنى دانييل على المنضدة) هل كانت ضيقة عليك ؟

بوثر : لا ، لكن أى احتكاك يوجعه بسبب الحروق .

باولوس : آه .. الحروق ! (يمسك يد مارتى وينظر اليها) لكن هذه ليست إلا شرارات بسيطة تطايرت من المعدن الى جلده ، العملية لم تكتمل حتى الآن ، كم مرة وضعناه تحت التيار يا لويخى .

لويخى : مرات قليلة جدا يا « ريس » ، لا تتجاوز الست باولوس : أرنى أظفارك !

(يضغط برفق على طرف اصابع يده الشمال فيكتم مارتى تأوهاتـه) لا تتباكى ، فنحن حتى الآن لم نمس يدك اليمنى ، إذ يجب أن نحفظ بها سليمة للتوقيع . (يفتح الباب المواجه للمشاهد ويدخل منه مارسان بـدون « جاكته » وقد أمسك في يده بورقتين ثم يتقدم ويضعهما على المنضدة) .

مارسان : هذان الاثنان فرغا من الغناء (١)

باولوس : (موجهها الحديث لمارتى) هل علمت يا أحمرق ؟ كلهم يعترفون ، ويوقعون على اعترافاتهم ، اقرب . انها ليست حيلة من جانبنا (يدفعه بوثر حتى يصل الى جانب المنضدة ولا يستطيع ان يتفادى نظرة قلقة الى الأوراق) أيهمك ان تقرأها ؟ هه ؟ (يضع الأوراق أمام عينيه) خذها (يأخذها بالفعل مارتى ويشرح في قراءتها ، لويخى يضحك ، باولوس يدور حول المنضدة وعندما يصل خلف مارتى يدفعه في كتفيه ليجلس على المقعد) اجلس يا مغفل ! سوف لا تقوى على الوقوف

(١) مصطلح بوليسى معناه الاعتراف .

(ينزع منه الأوراق ويلقى عليها نظرة) أحسنت صنعا
يا مارسان .

مارسان : شكرا يا « ريس » (ينسحب إلى مسند الأريكة متكئا
على الحائط) .

باولوس : اجلس يا بوثر . . وانت يا دانييل (يذهب بوثر الى
ركن من الأريكة أما دانييل فيجلس الى جوار آلة
الكتابة) حسنا . . لم يبق سواك ، وستكلم !

مارتى : قلت لكم كل ما أعرف .

مارسان : أسمع هذا يا لويخى ؟ ، لقد قال كل ما يعرف

لويخى : (بضحكة خفيفة) كم يؤثر هذا في نفسى ! .

باولوس : صمنا . . أعطه سيجارة يا دانييل ، هذا حوار ودى
(يشعل لنفسه سيجارة بينما يضع دانييل سيجارة أخرى
في فم المعتقل ويشعلها له ثم يعود إلى مكانه) مارتى !
أنت لست الا حلقة اتصال . . ففي اليوم الثانى من الشهر
الماضى استقبلت زائرا مجهولا جاء من خارج البلاد
ولا تعرف من هو . . أعطاك مظروفا كان يجب عليك
ان تحمله الى مكان ما دون أن تعرف ايضا محتواه ،
حسنا ، لنصدق كل هذا ، لكن المكان الذى ذهبت
اليه ، والشخص الذى سلمته المظروف لابد وأنك
تعرفهما .

مارتى : قلت لك إن هذا تم في أحد المقاهى .

باولوس : بل كان في أحد المنازل (يرفع يديه أوراق الاعترافات
لقد رأيت إنهم جميعا متفقون على ذلك .

مارتى : هذه الاعترافات . . . من الممكن ان تكونوا قد حصلت
عليها . . .

مارسان : (بشدة) ماذا تقول ؟ (ينظر اليه مارتى برعب بينما
يتقدم نحوه مارسان) كيف حصلنا عليها ؟ قل ؟

باولوس : كلهم خانوك يا مارتى ، ليسوا الا مجموعة من الجبناء
ولا يستحقون صمتك ، الا تدافع عن نفسك بذكر
المسئول الحقيقي لنا ؟ (صمت) لا تخدع نفسك ! . . .
زملاؤك يبوحون بالسر ، كما انهم سيكشفون عن
رئيسكم ، اذ لا بد وأن يوقعوا في نهاية الأمر على ما نهواه
نحن ، فهل ستقاوم أنت أكثر منهم ؟ (صمت) لو
تكلمت . . أعطيك كلمة شرف (مارتى ينظر اليه)
ان تكون تهمتك مخففة . . فأنت لم تكن إلا حلقة اتصال
وكنت تجهل كل شيء . وقد اختاروك لهذا السبب
بالذات ، ولن تأخذ إلا ثلاث سنوات سجن أو أربعاء ،
شيء بسيط . . تمر بسرعة ، وبعدها تعود الى حياة
جديدة ! هذا . . لو أردت الكلام ، أما إذا . . .
ستكلم على أية حال ، لكن بما نريده نحن ، وعندها
ستكون واحدا من الرؤساء ، وأنت نفسك ستوقع على
على هذا . هنا لا مهرب ، وانت تعرف ذلك ! ! فماذا
تقرر ؟ (صمت)

مارسان : هل تريد أن نحضر زوجتك إلى هنا مرة أخرى ؟
(ينظر اليه مارتى بدعر شديد)

باولوس : سيكون هذا شيئا فظيعا ، أليس كذلك ؟ ما أكثر
ما تحبها ، ومع هذا فعندما كانت هنا لم تتكلم ! لا تخف

لن نعود لإحضارها مرة أخرى ، فهناك كلام كثير
في الخارج عن حقوق الإنسان ، ومحامون على أهبة
التدخل ، وليس من الملائم لنا أن نضغط على من سيقون
خارج السجون ، لقد تزوجتما منذ وقت قليل ، أليس
كذلك ؟

بوثر : منذ عام ونصف يا « ريس »

باولوس : مازلتما في شهر العسل ، كما يقال ، لا أعرف لماذا
تحشرون أنفسكم في هذه المشاكل ؟ لو خرجت من
هذه . . ألا تحب ان يكون لديك أولاد ؟ . . . أجب . !

مارتى : لا أعرف .

باولوس : طبعاً تتمنى ذلك ، وهى أيضاً ، ألاحظ انكما مثل زوج
من اليمام العاشق ! (بعذوبة بالغة) . هذا مؤسف
حقيقة ، لأنه ربما لا تتمكنان من الإنجاب (ينظر
إليه مارتى دون أن يدرك ما يعنيه) لا . لا أقول هذا
لأنك ستموت ، أو لأنك ستقضى طيلة عمرك فى
السجن . فبعد إعادة النظر فى الأمر ربما كان من المفضل
ان نجعل تهمتك يسيرة حتى تستطيع ان تعود الى زوجتك
فى خلال أعوام قليلة . (أفراد الشرطة ينظر بعضهم
إلى بعض) .

مارسان : كم أنت طيب القلب يا « ريس »

باولوس : طيب ؟ . . لكن على أية حال لا مناص من الضغط عليه
.. حتى لو اضطررنا أن نقسو فى ذلك . . إلى الحد الذى
لا يستطيع بعده أن ينجب أولادا ! ! (ينظر إليه مارتى

بفزع هائل ، أما دانييل فيقوم من مكانه بينما يتبادل الجميع النظرات) . لكن . . لا أعتقد انه يريد ان يعيش طيلة حياته مع امرأته مثل اختها ، فهذا سيكون ثمنا فادحا لجنون الشباب المستبد به ! !

لويخى : (ينفث بغمه صغيرا خفيفا) رائع !

باولوس : (يقول بعنف لمارتى) اظن أنك تفهمنى ، انا جاد فيما أقول ، فقد ضيقنا ذرعا بك ! تكلم ! .
(ينهض لويخى ويتقدم نحوه خطوة ، بينما ينضم مارسان للجماعة)

مارتى : (ينهض هو الآخر وقد أصابه لوثه « هستيرية »)
انا لا أعرف ، لا أعرف شيئا !

باولوس : كفى ! انت الذى تريد أن تفعل هذا بنفسك . . احملوه الى الداخل ليخلع ثيابه ! دانييل : ابق هنا معى (بوثر ومارسان يجران المعتقل الى الباب المواجه للجمهور الذى يسارع لويخى بفتحه لهم)

مارتى : قلت لكم انى لا أعرف شيئا على الاطلاق .

بوثر : من الافضل لك أن تدعى أنك لا تذكر ، لكنك الآن ستذكر جيدا .

(ينظر اليهم مارتى وقد بدا عليه الانهيار وتفكك الاوصال ثم يخرجون من الباب المواجه للمشاهد) .

لويخى : هل نبدأ الآن يا « ريس »

باولوس : سأدخل حالا بنفسى ، (ينكس لويخى رأسه ثم يخرج بدوره مغلقا الباب خلفه .)

(أما باولوس فينظر الى دانييل) .

دانييل : اعتقد أنه سيتكلم . . لقد حطمه هذا التهديد .

باولوس : هذا ليس تهديدا .

دانييل : لكن . .

باولوس : مازال ينكر . . . ولن يتكلم حتى نبدأ معه ، عندها

سترى كيف تحل عقدة لسانه ، لقد أصبحت عجاذا

لا أو من إلا بهذه الوسائل الفعالة اما التيارات الكهربائية

وغيرها من الكلام الفارغ الحديد فلا قيمة له . الرجل

لا يهزه حقيقة الا ما يمس رجولته ويؤذيه في اعضاءه

الحيوية ، هذه حقيقة لا تخطئ ابدا .

دانييل : واذا . . لم يتكلم ؟

باولوس : (ينهض نائرا) لابد أن يتكلم ! (يأخذ في التجول
بالغرفة)

دانييل : ألا يكون هناك خطر من . . . أن يموت ؟

باولوس : سنأخذ حذرنا (يلتفت اليه وينعم فيه النظر) أنت الذى

ستقوم بهذا . . يابنى !

دانييل : (تصدر عنه شهقة مفاجئة) أنا ؟

باولوس : لا أثق في أى واحد من هؤلاء ، هذه الأشياء تثير حماسهم

. . لكنى أريدك أنت أن تقوم بهذه المهمة (يضع يده على

كتفه) دانييل . . حذار أن تخالطك به رحمة . . انهم

وحوش علينا ان نسحقهم بلا تردد .

دانييل : لست أدري . . كيف أعمل هذا !
باولوس : سأدلك على الطريقة التي تتبعها (يذهب نحو الباب) هيا بنا !

(يفتح الباب ويبدأ الضوء في الخفوت بينما يتسلط على الدائرة الأولى ، باولوس يخرج من الباب المواجه للمشاهد ويغلقه خلفه ، اما دانييل فيبدأ فى هبوط السلم المتنقل . يسود الظلام في الطابق الأعلى) .

دانييل : و كان لابد من الوصول بالأمر الى مداه . . حتى النهاية (يقول هذا وهو يهبط حتى يصل الى أسفل) .

الدكتور : (بدون أن ينظر اليه) كيف فعلت هذا ؟

دانييل : (بضيق) دل من الضروري الدخول في التفاصيل ؟

الدكتور : يكفينى الآن أن ألاحظ دلالة امتناعك عن سردها . هل تكلم المعتقل ؟

دانييل : (ببرود) لقد انهار حتى أصبح من اللازم حمله الى المستشفى ، لكن أعدناه اليوم بالذات الى مقر رئاسة القسم .

الدكتور : آه ! (يعود دانييل الى الجلوس) اذن . . استعاد قواه ؟

دانييل : لقد أوشك على الشفاء ، لكنه لا يمكن الآن أن يكون رجلا

الدكتور : هل انت متأكد ؟

دانييل : هذا ما قاله الطبيب (صمت طويل)

الدكتور : أتندم على ما فعلت ؟

دانييل : نعم ، قمت الا بالواجب على ؟

الدكتور : لا أدري إذا كنت قد انتهت إلى اندماجك الكامل في الدور وأنت ترويه .

دانييل : هذه الاشياء ليست محبة ، ولكن لابد منها (صمت حسنا ، هذا كل شيء ، أظن انك قد اقتنعت الآن .

الدكتور : بم ؟

دانييل : بأنه يجب البحث عن السبب في جانب آخر .

الدكتور : على العكس . . الحالة واضحة للغاية .

دانييل : واضحة للغاية ؟

الدكتور : أنت تقول انك لم تندم .

دانييل : لم أفعل شيئا أندم عليه .

الدكتور : ياليتك تشعر بالندم .

دانييل : لا أفهم ؟ !

الدكتور : هذا أمر بسيط جدا ، لقد اخترت الندم من خلال المرض ، ولجأت إلى هذه الوسيلة على وجه الخصوص لانك لم تشعر بالندم .

دانييل : اسمع يادكتور ، لقد قرأت شيئا عن هذه الأمور ويوسفنى أن أقول لك انها غير مقنعة .

الدكتور : ركز انتباهك ياسيد بارنيس ، يمكنك ان تهني نفسك ، فهناك حالات تحتاج إلى سنوات طويلة حتى تتضح . وقد كشفت عن حالتك بوضوح في دقائق ، ومع هذا ، فلا أعتقد انه يجب أن تهني نفسك بحقيقة ، لانك ربما لا تريد الشفاء .

دانييل : لقد جئت إلى هنا من أجل ذلك !

الدكتور : بالرغم من أنك قد جئت ، هناك شيء وفي أعماقك يقول لك ان ما فعلته لا يصح أن يعمل ، مع أنك تؤكد انه كان واجبا عليك ، ولكي تشفى . . . عليك أن تقر بأنك ارتكبت جرما رهيبا لا يمكن أن يبرر . وحتى لو اعترفت بذلك لا أعتقد أنه يمكنك أن تشفى ، اللهم الا إذا وصلت إلى الاقتناع المطلق ، بأن هذا وما يشبهه من أعمال القسوة انما هو أمر عادل وجدير بالاحترام والتقدير ، ولا أظن أن احدا في العالم يمكن أن يقتنع في أعماقه بشيء مثل هذا . وانت — بطبيعة الأمر — لست مقتنعا بذلك .

دانييل : لنفرض أن هذا هو السبب فيما حدث لي . . . وليس معناه إلا أن أعصابي لازالت تخونني . أو أنني لست بالنضج الكافي ، لكنني سأعرف كيف أتفوق على هذا الضعف .

الدكتور : حاول ! ما دمت تظن أن هذا ممكن .

دانييل : أعرف انه ممكن ، وربما لا تكون لدى القدرة اللازمة . . لكن غيري . . لديهم هذه القدرة !

الدكتور : تعني . . زملاءك ؟

دانييل : انا أعرف جيدا لم يعانون شيئا مما جرى لي !

الدكتور : وكيف تعرف انهم لا يقاسون من أشياء أخرى ؟ طبقا لما وصفتهم به يمكنني أن أقول انهم ايضا مرضى لكن .. هل لي أن أسألك ماذا فعلتم في زوجة هذا المعتقل ؟

دانييل : كان ذلك سابقا على الحادث الذى وصفته لك . .
و كنت حينئذ فى الجنوب أقوم ببعض الاعتقالات .

الدكتور : لكنك لم تجب على سؤالى ، هل ضربوها ؟

دانييل : ربما !

الدكتور : انتهكوا عرضها ؟ (صمت) لا تجب إذا أردت من
يعرف ؟ ربما كنت تعاقب نفسك أيضا على ما فعلوه
بها (دانييل يمعن فيه النظر)

دانييل : أنا لا أعمل هذه الأشياء (يهز الدكتور كتفيه)
لكنها لو حدثت فهى تطرف يبدل على . .

الدكتور : أن رفاقك ليس عندهم ضمير يخزهم مثلك ، لا أنهم
أصحاء . . أكثر منك !

دانييل : على الأقل . . هناك واحد لا يتطرق اليه الشك .

الدكتور : رئيسك ؟

دانييل : بالضبط .

الدكتور : لعله يعانى من الأرق . . أو أوجاع المعدة !

دانييل : ليست لديه أوجاع .

الدكتور : حسنا ، لن نختلف من أجل هذا ، متى وضعت يدك
للمرة الأولى على سجين ؟

دانييل : (بضيق) منذ سنوات طويلة

الدكتور : هل تذكر أول واحد ؟

دانييل : نعم ، ولم أندم على ذلك أيضا ، كان ندلا قد اعتدى
على طفل صغير .

الدكتور : طبعا ! أظن انه من السهل على الانسان في بداية الأمر أن يتعلم احتقار الناس ، فمنهم المجرمون والنصابون والسكرارى والصوص . . . ثم ينتقل بعدها إلى قسم آخر حيث يمارس تعذيب المعتقلين السياسيين لكن . . . كى يصل إلى هذا لا بد له من النضج السياسى !

دانييل : ان هؤلاء الارهابيين يستحقون الاحتقار أكثر من أى مجرم عادى .

الدكتور : (بجفاء) ربما . . . ولكن ينبغى أن تأخذ في اعتبارك الاحتمال العكسى ، وهو أنك قد وصلت الى النضج السياسى — كما تقول — لأنك كنت تقدر أنه في يوم من الأيام سينقلونك الى القسم السياسى . وكنت تخشى ألا تجرؤ على ارتكاب بعض الاعمال بدون تبرير ترتاح له نفسك . . . ولو مؤقتا .

دانييل : (بمرارة) كل هذه التحليلات النفسية ليست الاغشاء !

الدكتور : كما تحب ، لكن رأيى أنه كان من الواجب عليك أن تفكر جديا قبل أن توجه أول صفعة ، لانها في حقيقة الأمر هى نفس الشئ يا سيد بارنيس . . . وراء أول صفعة يأتى كل ما بعدها . . . (صمت) لابد أنك تعرف بعض رجال البوليس ممن لم تمتد يدهم على انسان اطلاقا ، أليس كذلك ؟ لتكن صريحا !

دانييل : نعم ، ولكن . . .

الدكتور : ها أنت ترى أنه ليس حتميا

دانييل : القسم السياسى شىء آخر

الدكتور : (بعد هنيهة) انه أيضا يتعامل مع مخلوقات بشرية !
(لحظة صمت)

دانييل : (بضعف) لماذا قلت انك لا تأمل في شفائى حتى ولو اعترفت بأننى قد ارتكبت شيئا لا مبرر له ؟

الدكتور : لأن ما حدث لا يمكن اصلاحه ، فانت لا يمكنك ان ترد لهذا الرجل المسكين رجولته ، ولهذا فقد قضيت أيضا على رجولتك ، قد يكون هذا من المتناقضات الغربية ، ولكنها حقيقة ، شفاؤك يكمن في مرضك ، ولعله من صالحك ... لكن .. مع ذلك .. (صمت)

دانييل : ماذا ؟

الدكتور : لا شىء ! لا يمكننى متابعة حالتك .

دانييل : انك طبيب ! ...

الدكتور : الآن .. أنت تعرف جيدا كل ما يحدث لك .. ولو كان هناك أحد يستطيع أن يحل مشكلتك فهو أنت - نفسك ... لا أنا ... علما بأننى لا أظن انك ستستطيع حلها .

دانييل : لكن لماذا لن تحل ؟ لماذا ؟

الدكتور : (بينما ينهض وعلى اثره دانييل ينهض كذلك بتثاقل) كان يجب ان تدفع ثمننا غاليا لما فعلت . وها أنت تدفعه ! ولكى تكف عن دفع هذا الثمن ينبغى ان تدفع ثمننا آخر لا يقل عنه

دانييل : ما هو ؟

الدكتور : لا أدري ، قد تكون محتاجا الى تحول كبير ، . . ربما تضطر الى أن تهجر عملك الحالي ، او تبحث عن كفارة صعبة الأداء ، على حساب اعمال تقوم بها . . لا أستطيع حتى أن أتصورها ، فأنت لم تعد شابا صغيرا ، وليس من المحتمل ان تجرؤ على المجازفة بتحطيم وسيلة رزقك . . وجزء هام من شخصيتك !

دانييل : اننى أريد الشفاء !

الدكتور : انت تريد ان تدفع ، وقد اخترت طريقة الدفع ! وانا رجل شريف يا سيد بارنيس ، لا أستطيع ان أتركك تزورنى مرة بعد الأخرى ، بدون فائدة ، فهذا يصبح سرقة ، ولا أريد أن أسلبك اموالك .

دانييل : (بعد هنيهة) لا . أنت تصرفنى لاننى أثير اشمئزازك ، لكن هل انت متأكد بدورك من معرفة السبب في نفورك منى ؟ . . هيا ! اعترف أنت الآخر ! اعترف بأنك كنت تجادلنى وتثلب عملى كى تجرئنى الى الحقل المعارض . . الذى هو حقك !

الدكتور : لو كنت توجه لى هذا السؤال بصفتك البوليسية فلتتذكر أنك لم تأت الى هنا لتستجوب احدا .

دانييل : (وهو يضحك بعصبية) لعلك تعترف بأنك مستعبد لتتغاضى عن بعض الاعمال . لو كان النظام الحاكم مختلفا في سياسته عن الحال !

الدكتور : هذا لا يعنك في شىء ، لكن اذا كنت تريد أن تعرف

الحقيقة فسأقولها لك : لا . لا أقبل هذه الاعمال تحت
ظل أى نظام !

دانييل : (بعد لحظة تفكير مكتئب) من السهل على الانسان ان
يقول هذا ! طاب مساؤك يا دكتور . (يتوجه الى
الجانب الايمن)

الدكتور : تحذير أخير يا سيد بارنيس (يلتفت دانييل اليه) ربما
يحدث في يوم من الايام أن تظن أنك قد شفيت ، نتيجة
لقرار تتخذه وتعتقد حينئذ ان فيه الكفاية . . لكن ،
حاول ألا تخدع نفسك ! وأكرر لك أن الثمن الذى
لابد لك من دفعه يجب ان يكون فاحش الغلاء . . والا
.. فهذا الشفاء الظاهر لن يدوم .

دانييل : (بحقد) كم يجب علىّ ان أدفع لهذه الزيارة ؟
الدكتور : لا شيء ، هذه المرة ، مع السلامة !

(يخرج دانييل بينما تعود السكرتيرة الى الظهور بحذر)
أعترف انى لم أكن حكيما ساعتها ، فخلال الايام
التالية ساورنى القلق من أن تستدعينى المخبرات وتعاملنى
بنفس الوحشية كى أعترف بأية أكاذيب ملفقة ، فعندما
يضعون في يد شخص مريض مثل هذا كل تلك السلطة
يمكن ان ينتظر منه أى شيء . . . لكنه كان قد تكهن
الى حدى بالسبب . . لم أعامله بحكمة الطبيب المعالج
نتيجة للاشمئزاز العنيف الذى شعرت به تجاهه على التو ،
ولم أتجاوز هذا الشعور الى العطف عليه الا بعد وقت
طويل . . . عندما رقت نفسى له كما رقت على هذا
الشقى الذى تحطم على يديه .

السكرتيرة : على يديه .

(قبل لحظات تزايد الضوء فى منزل عائلة بارنيس ،
الآن يدق الجرس وتدخل مارى من الباب الأيسر وهى
تنظر الى ساعة يدها ثم تتبعها الجدة وهى تحضر معها
مفرشا ومناشف ، تشير الجدة الى مارى كى تذهب
لفتح الباب بينما تهرع الى المنضدة المجاورة للأريكة
وتترك فوقها المفارش ، ثم تلتقط اناء الزهور وتسرع
بالخروج من الباب الأيسر)

الدكتور : بعد تأمل طويل . . أجدنى أميل الى ترك اى تعليق على
الصراع السياسى أو أعمال الشعب التى كانت عندئذ
والقارى الذى يجهلها له مطلق الحرية فى أن يتصور ما
يعجبه ، له أن يعتقد فى أن الحق كان مع الثوريين أو أن
يظن عكس ذلك ، أعرف أن هذا الموقف قد يسيئهم بأنه
تجريدى أو انه قد يعوق الفهم السليم للمشكلة ، فهما
لا يمكن الوصول اليه الا بعد دراسة هذه الجوانب ، اما
رأى فهو على العكس من ذلك . . فكلما سكتنا عنها
اتضححت فى حقيقتها العارية كل التساؤلات التى تفرضها
علينا هذه القصة ، تساؤلات ينبغى على كل منا أن
يتأملها على مهل ، ليعرف مقدار ما لديه من نبل وشجاعة
فى الإجابة عنها .

(الدكتور والسكرتيرة يخرجان من الباب الأيمن ،
تعود الجدة بسرعة لتفرش المنضدة ، يسمع صوت
مارى) .

مارى : (من الداخل) ما هذا يا بنت ؟ لقد أصبحت جميلة جدا .

(تدخل وفي اعقابها لوثيلا) بالرغم من أننى ألاحظ عليك بعض الشحوب ، نعم ، هل من جديد ؟

لوثيلا : ... حتى الآن (هى فتاة ما زالت صغيرة ، ذات ملامح وسيمة يعلو وجهها الجزع ، ترتدى ملابس متواضعة لكن أنيقة)

مارى : سترزقين حالا .. سترين ، هذه هى لوثيلا يا جدتى ، واحدة من تلميذاتى .

لوثيلا : (وهى تمد يدها مصافحة) كيف حالك ياسيدتى ؟

الجددة : تشرفنا يابنيتى ، اجلسى من فضلك ، سأعود فى الحال .

مارى : (توقفها) سأذهب انا يا جدتى .

الجددة : بل أبقى أنت (تذهب نحو اليسار)

مارى : اجلسى يا لوثيلا ! (تخرج الجددة)

لوثيلا : شكرا (تجلس على الأريكة والى جانبها مارى)

مارى : اذن فقد تزوجت ! .. كان هذا يبدو لك مستحيلا .

حسنا ، كان يبدو لى أنا الاخرى مستحيلا كذلك .. وها أنت ترين ! ومن هو زوجك ؟

لوثيلا : هو ... حسنا ، هو موظف فى احدى المكاتب . لكنى .. لا أعرف كيف أبدأ معك الحديث .

مارى : (ضاحكة) حتى الآن لم تفقدى خجلتك المعهود يا ذات الضفائر !

لوثيلا : انه يكبرنى بخمسة عشر عاما .. لكن ..

مارى : وما أهميه هذا ؟ كل ما تحتاجين اليه هو أن يكون طيب القلب .

- لوثيلا : من هذه الناحية ، هو طيب للغاية .
- مارى : (تضحك وتقبلها) يسرنى أن أراك سعيدة . . وكيف حالكما ؟ هل تعيشان في وفاق ورخاء ؟
- لوثيلا : علينا أن نكافح ، أنا كمربية أطفال ، يعنى . . . كنت أربى أطفالا ، ليس من السهل دائما العثور على مثل هذا العمل ، أما الآن فأريد أن ألتحق ببعض المحلات الكبرى (تدخل الجدة ويدها صينية عليها بعض الاشياء من الاغذية الخفيفة التى تتناول عصرا ، تنهض لوثيلا) .
- الجدة : اجلسى يا بنيتى ، اجلسى !
- لوثيلا : بعد اذنك (تجلس) ما كان ينبغى أن تتعبى نفسك يا أستاذتى .
- مارى : لا تنادينى هكذا ، فذلك يجعلنى عجوزا (تضع الجدة الصينية وتتقدم بعض الخطوات بحيرة)
- الجدة : سأذهب أنا الى الداخل ، لا بد أن لديكما ما تريدان التحدث عنه معا . . . (تبسم وتخرج) .
- مارى : هى صماء بعض الشيء ، أتعرفين ؟ . . وتفضل أن تتناول كوب لبن في حجرة المائدة أمام التلفزيون (تصب لها) تريدن قهوة ؟
- لوثيلا : قليلا . . يكفى ، شكرا (مارى تصب اللبن) قطعتان من السكر من فضلك ! (تضع لها مارى قطعتي السكر كما تقدم اليها بعض « البسكويت »)
- مارى : جربى هذا « البسكويت » فهو لذيذ جدا ، أم أنك تفضلين الشطائر ؟

ليوثيلا : قليل من « البسكويت » (ماري تضعه لها) شكرا . .
(يبدآن في تناول وجبة العصر الخفيفة) .

ماري : لن أسامحك في تجاهلي عند زواجك وعدم دعوتي ، أم
أنك كنت حينئذ خجولا أيضا ؟

ليوثيلا : و انت بدورك لم تخبريني بزواجك .

ماري : بالنسبة لي . . . من حقى أن أخجل يا ليوثيلا ! فأمامكن
. . . كنت أشعر بأننى عجوز . .

ليوثيلا : انت ؟

ماري : آه لو عرفت ! . . دعيني احكى لك أنا أيضا بعض
همومى .

ليوثيلا : (بخرج) استاذتى ! . . . أنا . .

ماري : مرة أخرى ؟

ليوثيلا : لم أعود غير ذلك معك

ماري : ستتعودين . . لكن ، لماذا لا تأكلين يا بنية ؟ (تقضم
ليوثيلا قطعة « بسكويت » ثم لا تلبث أن تتركها ،)
هكذا ! . . لسنا الآن تلميذة ومعلمة ، بل صديقتان
سعيدتان ! هل أدركت ذلك يا ليوثيلا ؟ . . . لا . .
أنت لا تدركين ، فقد وصلتك الفرصة في الوقت
المناسب ، أما أنا . . . هل تعرفين أننى كان لى خطيب
منذ سنوات بعيدة ؟

ليوثيلا : لا . .

ماري : لم تكونى حينئذ الا طفلة صغيرة ، على أية حال . .

كنت أكبر كنّ بكثير . . ولكم تعذبت خلال سنوات
طويلة يا بنيتي . . وانتن ايضا اشتركتن في تعذبي !

لوثيلا : نحن ؟

مارى : كنت أراكنّ وأفكر . . انهن آخذات في النمـو
والنضوج . وسيتزوجن . . أما أنا فسأظل معلمة المدرسة
. . انت لا تستطيعين تصور ذلك يا ذات الضفائر !
لقد قتلوا خطيبي في الحرب . . وكانت عندي أشواق
مجنونة للحياة ، وعندما طلبت العمل في المدرسة كنت
أظن ان هؤلاء الفتيات سيصبحن بناتي . . وأخذت تمر
سنوات وسنوات . . وأنا الى جانب أبى المسكين . . .
وعندما مات ، وجدت نفسى وحيدة . . وحيدة ،
كنت أذهب الى بعض الحدائق العامة ويدي كتاب . .
أو أجلس في أول مقهى يصادفنى . . لم أكن أبحث عن
شئ . . فأنا لم اعد فتاة صغيرة . . ثم كان . . أن تعرفت
عليه عندما كنت جالسة على مقعد حجري في حديقة
عامّة .

لوثيلا : أتعنين . . زوجك ؟

مارى : لاحظ أننى أبكى فاقترب منى ، كان رجلا موفقا . .
سعيد الحظ مع النساء ، واعتقد انه تزوج منى رفقا بى .
كان يقول لى : سأشفيك يا مريضتى الصغيرة . . !!
لكننى كنت أقول لنفسى : لا بد انه سيحببني في نهاية
الأمر (تنهض وتأخذ في التجول بالحجرة وهى مبللة
العيون) والآن . . . عندما نجلس احيانا على نفس هذا
المقعد يقول لى : ها أنت قد شفيت يا مريضتى الصغيرة

.. وnnفجر في الضحك .. وقد رأيت الطفل الجميل
الذي رزقنا به .. صحيح ان لدينا بعض المشاكل لكنها
أيضا ستحل .. فلا يوجد شيء في الدنيا لست جديرة
بتقديمه من أجل اسعاده !

(تنظر اليها) لم تأكل شيئا ! !

لوثيلا : (منكسة الرأس) لا شهية لي للأكل !

مارى : (وهى تقرب منها باهتمام) ماذا جرى لك ؟ ألاحظ
أنك غريبة الاطوار ..

(ترمقها لوثيلا ثم تصرف عنها النظر بارتباك شديد) .
أرجو ألا يكون السبب في شرودك هو ما أرويه لك !

لوثيلا : (بصوت متحشرج) أنا .. جئت لأطلب منك معروفا !

مارى : (تعود للجلوس بجانبها) معروف ؟

لوثيلا : لا أدري الى من ألقأ .. استشرت أحد المحامين لكنه
نصحنى ألا أفعل شيئا .. اذ ربما كان أسوأ .

.. (تنظر اليها بعذاب شديد)

مارى : ماذا جرى لك يا لوثيلا ؟

لوثيلا : لقد كنت دائما طيبة معنا ! ..

مارى : تكلمى !

لوثيلا : (بعد هنيهة) هل صحيح .. أن زوجك من المخابرات

مارى : (بحيرة) لكن .. ما دخل هذا ؟

لوثيلا : ان زوجى قد اعتقلته المخابرات يا سيدتى ! (تنظر اليها

مارى بدهشة) . . ربما تكونين . . قد سمعت زوجك يتحدث عنه . . اسمه أنيبال مارتى .

مارى : انه لا يكلمنى مطلقا عن عمله .

لوثيلا : اعتقلوه منذ اثنين واربعين يوما ، وحتى الآن لم يحيلوه الى المحاكمة .

مارى : لوثيلا . . . لا أستطيع ان أصدق أن زوجك واحد من هؤلاء الارهابيين . .

لوثيلا : (بتصلب) هذا يتوقف على ما نفهمه من كلمة ——— اربايين !

مارى : ماذا فعل ؟

لوثيلا : لا أعرف ، يريدون منه ان يعترف بشيء يقولون انه يعرفه .

مارى : وماذا تريدن منى ؟ . . أن أتكلم مع زوجى ليحيلوه الى المحاكمة ؟

لوثيلا : (تبسم بحزن) هذا هو القانون . . لكنى أعرف انه لا جدوى من طلب ذلك . . كنت فقط أريد . . . (تنفجر في نسيج حاد) لقد اضطروا لنقله الى المستشفى منذ عشرين يوما .

مارى : لوثيلا . . . يا بنيتى ! (تأخذ بيديها)

لوثيلا : لا تسألينى كيف أعرف هذا ، لا ينبغي ان أقوله . . وأعرف ايضا . . انه غدا . . أو ربما اليوم بالذات . . سيحملونه مرة أخرى الى مقر المخابرات . . (لاتستطيع ان تتمالك نفسها وتنخرط مرة أخرى في نسيج حار)

مارى : لا تبكى !

لوثيلا : كل ما أطلبه . . . هو ألا يستخدموا معه كثيرا من العنف بعد الآن . . ألا يعذبونه أكثر من ذلك !!

(تحق وجهها في صدر ماري)

مارى : (بتأثر شديد تمسح على رأسها وهي ذاهلة) اهدئي من فضلك ، يا لوثيلا !

لوثيلا : (تحاول التماسك) معذرة ! (تبتعد عنها)

مارى : لا يا بنيتي ! . . هذا طبيعي (سكتة قصيرة) هل قلت انهم يعذبونه ؟

لوثيلا : نعم ! (تبكى) .

مارى : لا تبكى . . أرجوك . . تريدني أن أقول أنهم تركوه واقفا على قدميه بعض الساعات ، أو سلطوا عليه الأضواء وهم يستجوبونه ؟

(تنظر اليها لوثيلا بدهشة) .

لوثيلا : لو كان هذا لما حملوه إلى المستشفى !

مارى : ماذا تقولين ؟

لوثيلا : طبعاً ! (تنهض ماري وتأخذ في عبور الحجرة جيئة وذهابا بعصبية واضحة) .

مارى : (تلتفت اليها) أعقد أنك صديقة يا لوثيلا . . لكن لا أظن أنك تدركين مدى خطورة ما تقولين . . (بعدوبة) هيا . . فكرى قليلا في الأمر ، هل جئت إلى منزلي لتقولي لي ان زوجي يمارس التعذيب ؟

لوثيلا : أنا لم أقل ..

مارى : طبعاً قلت هذا .. لكنى أسأحك لأنك مازلت طفلة ..
ولأنك تمرين بأزمة .. واقبلى نصيحة من معلمتك القديمة
يابنيتى .. لا تصدقي هذه الشائعات .. فلا بد أن زوجك
قد مرض ، ولهذا حملوه إلى المستشفى !

لوثيلا : (وقد استبدت بها الدهشة) معنى هذا أنك ... لا
تعرفين ما يحدث هناك ؟

مارى : مرة ثانية ؟

لوثيلا : (وقد تقطبت ملامح وجهها تنهض واقفة) أظن أنك
انت الأخرى صادقة ..

مارى : سأغضب منك يا صغيرتى ، أنا أعرف زوجى جيداً
وهو لا يكذب على ..

لوثيلا : لقد قلت من قبل انه لا يحدثك عن عمله .

مارى : لا يحكى عن تفاصيل .. لكنه لا يمكن أن يكون
كما تتصورين (منفرجة لأسارير) ربما كانوا يتجاوزون
حدودهم من حين لآخر بتوجيه بعض الصفعات ! ..

لوثيلا : (بعناد) انهم يحطمونهم .

مارى : لا تلفظى هذه الكلمات الفظيعة .. فربما كانوا يخضعونهم
لنوع من التوتر الجسمى .. لا أكثر .. أو على وجه
الخصوص لنوع من التوتر النفسى .

لوثيلا : هل تسمين هكذا التيار الكهربائى ؟ (تلفت إليها
مارى وتحدها بنظرة حادة ، ثم تذهب نحوها وتمسك

بذراعيها وتهزهما بعنف وان كان ذلك بطريقة ودية
شبه عائلية) .

مارى : انت تتجاوزين الحد يالوثيلا .

لوثيلا : كما يضعونهم في حمام ماء حتى يوشكوا على الغرق ،
مرة بعد أخرى ..

مارى : (تجلسها بدفعة قوية) اجلسي (ثم لا تلبث ان تباعد
عنها باضطراب) معذرة .. لا أكاد أصدق انك أنت
ايضا تنتمين إلى مجموعات التشهير ... ماذا تجنون من
وراء هذه التشنيعات التي تروجون لها ؟

لوثيلا : حقا .. ماذا نجني ؟ ألا تدركين اننا بهذا نعرض أنفسنا
للخطر ؟ واننا اذا كنا نجروا على فتح فمنا بالرغم من
كل المخاطر فلا بد وان هناك أسبابا قوية !

مارى : (تهرع لتجلس بجوارها) لا . لا يمكن ، فكرى قليلا !
هناك قوانين .. ومحاكم .. ولو كان هذا صحيحا ..
لعرفه كل الناس يالوثيلا !

لوثيلا : ولكن .. هناك أشخاص كثيرون مصرون على أن
يظل هذا مجهولا .. وأشخاص آخرون .. يتجاهلون ..
لا يريدون أن يعرفوا .. (تحول عينيها عنها) مثلك !

مارى : (بعد لحظة صمت) اسمعى يالوثيلا ، ينبغي أن تعرضي
نفسك على الطبيب !

لوثيلا : (وهي تنهض) اسكتي من فضلك ، لم أكن أريد أن
أصرح لك بكل شيء .. لكنك ترغميني على ذلك !
لقد امسكوني أنا الأخرى .. أفهمت ؟

(تقوم مارى من مكانها ، أما لوثيلا فتخطو بضع خطوات باضطراب ظاهر) وضربونى بمنتهى القسوة !
(تأخذ في النحيب) واعتدوا على أمام زوجى !
(تنتفض من البكاء) .

مارى : (ببطء) أنت تكذبين !

لوثيلا : (بعد أن تنظر إليها طويلا) ما كان لى أن آتى إلى هنا مطلقا ، وداعا ياسيدتى ! (تتناول حقيبة يدها)

مارى : (وهى تخطو نحوها بضع خطوات) انتظرى ! (بحدة) هل تعرضين بأن زوجى .. يمكن أن يعتدى على معتقلة ؟

لوثيلا : (ببرود) زوجك لم يكن هناك .. سمعتهم يتكلمون عنه . وظننت أنه ربما تكونين زوجته عندما ذكروا اسمه الكامل وبالنسبة لى .. لم يستطيعوا أن ينالوا منى شيئا .. لكن لا أدرى ما عساهم أن يفعلوه بالأخريات . (توجه لها مارى صفعة) بالمقارنة مع الضرب الآخر .. هذا لا يكاد يؤلم ! (تسحب مارى قبضة يدها المعتدية وتنفجر في البكاء) مم تبكين يا حاضرة المعلمة ؟ ... من الجهل ؟ (تنظر إليها مارى بقهر شديد) من هى الآن العجوز ومن هى الطفلة ؟

منارى : فى حياتى لم أضرب تلميذة ، حتى لو كنت كذابة .. يؤسفنى أننى ضربتك ، سأنسى زيارتك . اذهبي !

لوثيلا : (تلتقط حقيبتها) سأعرف الطريقة التى أجعلك لاتنسين بها !

مارى : اسكتى . . الباب (تنظر نحو الباب المواجه للمشاهد)
لقد قال انه لن يعود . . (يدخل دانييل) أنت ؟ لم أكن
أنتظرك !

دانييل : لا أريد أن أقطع عليكما الحديث . سأذهب الى الداخل
. . . مساء الخير يا سيدتى !

لوثيلا : لا تضايق نفسك يا سيدى فأنا ذاهبة الآن فوراً .

دانييل : هل أنت التلميذة القديمة لزوجتى ؟ (يمد لها يده)

لوثيلا : (تصافحه في حياء) نعم يا سيدى .

دانييل : تشرفنا . . لا تذهبي من أجلى ! أرجوك ! فسأحتفى
الآن .

مارى : كانت ستمشى حقيقة يا دانييل .

دانييل : يوسفنى ذلك ، لكن ، عودى كلما استطعت وستكون
زوجتى شاكرة لزياراتك .

لوثيلا : مساء الخير (تمضى نحو الباب المواجه)

مارى : سأصحبك . (تخرجان ، ينظر اليهما دانييل وهما
تذهبان بفضول ، ثم يخرج مسدسه ويتأكد من زناد
الأمان فيه ويضعه على دولاب الكتب . تظهر الجدة من
ناحية الشمال)

الجدة : أهلا بك يا بنى !

دانييل : أهلا بك يا أمى .

الجدة : (تذهب الى جواره) وأين الضيفة ؟

دانييل : خرجت . (يتبادلان قبلة) .

- الجددة : لم تغب كثيرا ، هل ستبقى للعشاء ؟
- دانييل : لا أعرف . (تعود ماري من الباب المواجه)
- الجددة : ألا تريد أن تتناول شيئا ؟ هذا « البسكويت » ممتاز .
- دانييل : شكرا يا أمي ! ليست لدي شهية
- الجددة : آه ! . . يا الهى ! (تعيد كل شيء الى الصينية) .
- ماري : (تحاول حملها) دعيها لي يا جدتي !
- الجددة : لماذا ؟
- ماري : وكيف حال برامج التلفزيون .
- الجددة : انها تكون مملة جدا في هذه الساعات . (تحمل الصينية وتقف في مواجهة ابنها) وجهك متغير !
- (تلتقط ماري المفروش والمناشف) .
- دانييل : (يحتضن أمه بين ذراعيه) أنا بخير يا أمي . . لا تخضري لي اية حبوب لانني لست محتاجا لشيء ! !
- الجددة : أتريد الحف ؟
- ماري : سأحضره أنا (تذهب نحو اليسار)
- الجددة : (تلتفت لتنظر اليها) هه ؟ . . آه !
- (تمضي خلف ماري التي تخرج ، ولكن الجددة تتوقف عند الباب وتنظر مليا الى ابنها ثم تخرج ، يجلس دانييل على الأريكة ويشعر في خلع حذائه على مهل ، ولكنه يتوقف وينظر ناحية الباب المواجه للمشاهد كأنه يتذكر لوثيلا ، تعود ماري ومعها الحف الذي تتركه الى جواره وتلتقط الحذاء ثم تهم بالخروج)

- دانييل : هذه الفتاة . . . وجهها مألوف لدى !
- مارى : (تنظر اليه) لا أعتقد أنك رأيتها أبدا من قبل .
- دانييل : (وهو يرتدى الحف) هل تكلم أحد بالتليفون ؟
- مارى : طلبتني زوجة بوثر
- دانييل : ماذا كانت تريد منك ؟
- مارى : تلح علىّ فى أن نتزاور .
- دانييل : هذا ما يجب ان تفعله .
- مارى : ليست خفيفة الظل علىّ .
- (تدخل الجدة وتحاول انتزاع الحذاء من يد مارى)
- الجدة : هاتى !
- مارى : (تقاوم) سأخذه انا يا جدتى (تحاول الخروج)
- الجدة : (باصرار) هاتى ! (تنتزع منها الحذاء وتخرج به)
- دانييل : وماذا قالت لك زوجة بوثر أكبر من ذلك ؟
- مارى : (بينما تحديق فيه النظر) تقول ان زوجها مريض
- دانييل : مريض ؟
- مارى : يصحو مذعورا ويصرخ بالليل (ينكس دانييل رأسه)
- ها أنت ترى أن الجميع يعانون شيئا ما !
- دانييل : (منتفضا) ماذا تقواين ؟
- مارى : لا بد أن عملكم مرهق للغاية .
- (يعود دانييل ليهرب بنظراته ويبدو على مارى نوع من

التردد ، تريد أن تتكلم ولكنها لا تحزم أمرها ، تدخل
الجدّة وفي يدها أشغال الصوف) .

الجدّة : دانييليتو الصغير يحلم مع الملائكة . ألا تدخل لّراه ؟
دانييل : الآن !

(تجلس الجدّة على الأريكة ثم تخرج جراب نظاراتها
الطبية وتضعها على عينيها كي تبدأ في الشغل وهي
تسارقهما النظرات من حين لآخر)

مارى : (تتكىء على حافة المكتبة) أنت لا تحدثني أبدا عن
تفاصيل عملك !

دانييل : انها لا تسر .

مارى : (كما لو كانت تتحدث عن شىء عابر) هل تضطرون
لضرب المعتقلين ؟

دانييل : لا مفر أحيانا من الضغط عليهم بعض الشيء .

مارى : آه ! . . فهمت ، على أن الكثيرين يبالغون جدا في
تصوير ذلك (ينهض دانييل ويشرع في المشى) الى أين
تذهب ؟

دانييل : سأكتب مقالا للمجلة

الجدّة : الى أين تذهب ؟ (يبتسم لها دانييل دون أن يرد ويمضى
نحو اليسار ولكنه يلتفت قبل أن يخرج)

دانييل : مارى ! (تنظر اليه وهو يخطو نحوها بضع خطوات بينما
تنظر اليهما الجدّة) لماذا جاءت هذه الفتاة هنا ؟

مارى : بعد كل هذه السنوات ، كانت تريد أن ترانى !

دانييل : تذكرت الآن أين رأيتها ، في صورة محفوظة بمقـر

الرئاسة (تكف ماري عن النظر اليه وتتقدم نحو الأمام)

ماري ! .. لا تعودى لا استقبال هذه المرأة !

(تجلس ماري منهكة على المقعد المجاور للتليفون)

ماري : لا أظن اننى سأفعل ذلك .

دانييل : (يقترب منها) هي التى حدثتك عن معاملة المعتقلين
أليس كذلك ؟

ماري : لقد كذبتها .

دانييل : عمن .. كلمتك ؟ عن زوجها ؟

ماري : وعن نفسها أيضا

دانييل : لا أظن أنها كلمتك عني ، فقد كنت في الجنوب عندما
قبضوا عليها .

ماري : بالضبط .. قالت انك لم تكن هناك عندما قام زملاؤك
بالاعتداء على عرضها

دانييل : أقالت هذا ؟

ماري : (وهي تبسم بطريقة عصبية) ها أنت ترى ! (يبتعد
عنها دانييل قليلا ، بينما يكتسب صوتها نبرة حادة)
هل تستجوب أنت أيضا النساء يا دانييل ؟

دانييل : (يلتفت اليها بغضب) أنا لا أفعل هذه الاشياء يا ماري !

ماري : (بينما تقوم) وزملاؤك ؟ (تنظر اليهما الجدة)

دانييل : بعضهم .. انهم حمقى للغاية .

ماري : اذن .. هي لم تكذب ؟

دانييل : (بضيق) سأشرح لك الأمر .
مارى : (تقترب منه وتمسك بذراعيه) قل لى الحقيقة . . يبدو
أنها كانت صادقة . . ! جاءت ترجونا . . ألا تعذبوا
زوجها أكثر من ذلك .

دانييل : (مشيرا الى الجدة) اسكتى !
(يبتعد عنها باضطراب شديد ، يتبادلان النظرات على
بعد ، تنهض الجدة وتخرج من الباب الأيسر دون أن
تنظر اليهما بينما ينظران هما اليها بضيق)
ربما تكون قد سمعتنا ! (يقترب من الباب ويسترق
السمع) او لعلها ذهبت تحضر جهاز سمعها .
مارى : (بصوت هادئ) أيمكنك ان تفعل شيئا من أجل هذا
الرجل ؟

دانييل : انه وحده الذى يستطيع ان يساعد نفسه ، فهو لا يريد
ان يتكلم .

مارى : وماذا تفعلون فيه ؟ الى اى حد تصلون ؟
دانييل : (يلتفت نحوها) إنهم مجرمون . . ولا بد أن يعترفوا !
مارى : (بفزع) إذن . . هذا صحيح !
دانييل : (يخطو نحوها خطوة واحدة) ليس بالشكل الذى
يزعمون يا مارى !

مارى : (وهى تقترب منه) أفعلت أنت شيئا فيه ؟
دانييل : (ساخطا) هذه المرأة لا يمكن ان تعرف شيئا . . كل
ما قالته لك أكاذيب او مبالغات (بدون أن ينظر اليها)

مارى ! ... ينبغي عليك ان تصدقي ... زوجك ،
فلو كانت قد زعمت لك أنهم اعتدوا على عرضها ..

مارى : قالت أنهم اعتدوا عليها .

دانييل : هذا شيء آخر ، فربما كانت قد تعرضت لنوع من
الجرأة الوقحة .. هل قالت لك اننى فعلت شيئا
في زوجها ؟

مارى : لا .

دانييل : أترين ؟

مارى : (ترمى في أحضانه وهى تنشج بالبكاء) أنا أصدقك ..
أصدقك ... ! (يدق الجرس فيبتعد عنها بقلق وهى
تنظر اليه بينما تخطو نحو الباب المواجه)

دانييل : مارى ! (تتوقف) لا أعتقد انه من الرئاسة .. لكن
على احتمال ذلك .. قولى اننى قد اعتكفت في الفراش
.. او ذهبت الى الطبيب عندما شعرت ببعض التعب .
(تنظر اليه باستغراب ودهشة بينما يخرج من الناحية
اليسرى ، تذهب مارى نحو الباب المواجه للمشاهد
وتخرج منه ، يدق الجرس مرة ثانية ، بعد قليل تعود
ومن خلفها مارسان الذى يأتى متدثرا بالمعطف ويده
قبعة) .

مارى : أنا آسفة ياسيد مارسان ، لقد جاء يرتعش .. ثم
أوى إلى الفراش

مارسان : (ينظر باسماء إلى كل ما حوله) أعرف هذا ، فقد

أخبرنا انه لا يستطيع الحضور هذا المساء . . حسنا . .
أظن أن طيبينا سيأتى ليكشف عليه ، أيمكننى أن أراه ؟!

مارى : انه نائم . .

مارسان : (ضاحكا) ياله من محظوظ !

(يعبر الحجرة متجها إلى المقعد المريح) لو أعطيتنى
كأسا ياسيدتى أكون لك شاكرا وممتنا . . فالواقع
اننى محتاج اليها جدا .

« يجلس بمنتهى الارتياح واللامبالاة »

مارى : (برود) لكننى كنت أستعد حالا للخروج !

مارسان : (وهو ينهض) هذا رائع . . اذن . . اسمحى لى أن
أرافقك !

مارى : (بضيق) هل تعتقد أن هذا شئ لائق

مارسان : (يقترب منها) ولم لا لست ممن يلقى بالا للأوهام
والمزاعم .

مارى : اما أنا . . فنعم .

مارسان : وهل تخضعين لها كثيرا ياسيدة بارنيس ؟

مارى : ماذا تعنى بذلك ؟

مارسان : (وهو يقترب منها أكثر) لا يمكن لك أن تتصورى
مدى سعادتى لو لم تخضعى لهذه الاعتبارات !

مارى : (وهى تبتعد قليلا عنه) لا أفهم قصدك .

مارسان : أعرف انك تفهمين ، فأنت تدركين مقصدى منذ
اليوم الأول الذى جئت فيه إلى هذا المنزل .

مارى : اسمع ياسيد مارسان . . من فضلك اخرج من هنا فوراً .
مارسان : (يتهدج صوته) إن الحياة لا تجود علينا الا بقليل
من المتعة الحقيقية يا مارى . . واياك ان تزعمى أنك
سعيدة مع زوجك ، فهذا لم يحدث على الاطلاق
(يتقدم نحوها) .

مارى : (وهى تتقهقر) اخرج من هنا !
مارسان : يوجد فيك شيء . . لا يقاوم . . شيء ليس لدى
الأخريات !

مارى : أنا لا أسمح لك أن تأتى إلى بيتى وتجروء على .
مارسان : (بحدة) أنا عنيد جدا يا مارى . . وستراجعين نفسك .
مارى : اخرج من هنا فوراً !

(يدخل دانييل وينظر اليه شزراً) .

دانييل : انتظر ، سنخرج معا . (صمت رهيب)

مارسان : ألم تكن نائماً ؟

دانييل : أشعر الآن بتحسن .

مارسان : (ينفجر فجأة في الضحك) لا تقلب وجهك هكذا
يا أخى . . كنت أداعب زوجتك لاننى أعرف انك
تسمعنى وستخرج للقائى . . ألف معذرة ياسيدتى !

دانييل : مارسان ! أنت تعرف أننا لا يمكن أن يضرب أحدهنا
الآخر مثل المتشردين في الحانات ، وعلى رئيس القسم
باولوس أن يحل الاشكال .

مارسان : (ببرود) ربما كان من الأفضل لك أن لا تذكر شيئاً

« لبابا » حتى لا أقول له بدورى ما كنت تحاوله من
التهرب من العمل ، لا أريد السعى في أذاك ! ! كان
هدفي أن اجعلك تعود معى لمقر الرئاسة . . وهذا يكفى
(يزداد الضوء في مكتب المخبرات)

دانييل : (يخطو نحوه بغضب) أنت تكذب !

(إلى أعلى . . يدخل رئيس القسم باولوس من الباب
المواجه للمشاهد وينتظر متكئا على المنضدة)

مارسان : صحيح ؟ . . اذن سنحكى كل شىء لباولوس . . .
وسرى من ذا يصدق .

دانييل : (يتمالك نفسه ، يذهب نحو المكتبة ويتناول مسدسه)
هيا بنا إلى القلام ! (يتجه نحو الممر)

مارى : انه مريض حقيقة ياسيد مارسان !

مارسان : لا أشك في ذلك ياسيدتى ، مساء الخير . . ومعدرة
مرة أخرى .

(يمر أمام دانييل ويخرج ، تهرع مارى إلى جانب
زوجها بكرب شديد ثم تقبله بحرارة)

دانييل : وداعا !

(يخرج بدوره ، تعود مارى إلى حافة المسرح وقد
ظهرت على وجهها امارات الارهاق ثم تتكىء على
المقعد بذهول ، يصعد إلى المكتب العام كل من بوثر
ولوينخى من السلم الأيسر وهما يقودان مارتى الذى
يسير بصعوبة ويرتدى الآن « جاكّة » ، يبدو على

على مظهره قليل من التحسن ، لكن تغيير وجهه الآن
يتم على عدمية مطلقة ، يتأهب بوثر لينزع عنه القيود .

باولوس : لا تخلع من يده الاغلال .

لويجى : اسمع كلامى يا « ريس » ، المغسل والتيار في نفس
الوقت ، هذا لن يطيقه .

باولوس : (يقترب من مارتى) ماذا تظن نفسك يا أحمق ؟ هل
تعتقد أنه لا يوجد أسوأ من ذلك ؟ أنت اذن مخطيء
وتخدع نفسك . . فلست الآن الا مزقة رثة لا تستحق
الا أن تلقى في القمامة . . هل ستتكلم أم لا ؟

(لا يبدى السجين حراكا ، يبدو كما لو ان مارى
تحدث بالمنظر البعيد بالرغم من انها لا تسمع شيئا مما
يقال بطبيعة الأمر ، تحاول بحركة مفاجئة ان تنفض عن
ذهنها الفكرة المتسلطة عليها فتمضى نحو وسط الصالة
ثم تتوقف من جديد) .

بوثر : نبدأ عندما تريد ياسيادة الرئيس .

باولوس : (وهو ينظر إلى ساعته) . لقد تأخر مارسان .

لويجى : ها هو صاعد . . (مارسان ودانييل يصعدان على السلم
المتنقل من الناحية اليسرى)

مارسان : مساء الخير ياسيادة الرئيس ، ها نحن هنا !

(يمضى ليترك معطفه وقبعته على المشجب ، أما المعتقل
فيمعن النظر في دانييل الذى يزوغ ببصره) .

باولوس : خذاه . . أنتما الاثنان إلى الداخل !

(يخرج بوثر ولويني وبصحبتهما مارتى من الباب المقابل ويغلقانه خلفهما ، يتحرك دانييل ويضع قبعته على المشجب كذلك) ماذا بك يا دانييل ؟ يلتفت دانييل بحيرة .

مارسان : (يبادر بسرعة) انقباض نفسى ، لكنه قال انه يشعر الآن بتحسن وأصر على المجيء !

(تخرج ماري نافرة من الناحية اليسرى ، يتلاشى الضوء من منزل عائلة بارنيس) .

باولوس : اذهب بعدما ننتهى إلى الدكتور كليمينز ليكشف عليك ، هيا بنا !

(يمضون نحو الباب المقابل ، يدق جرس التليفون فيتناول باولوس السماعة آلو . . نعم . . يا دكتور لقد أحضرت مارتى للتو إلى هنا . . هذا من شأنى . . ألا ترى ذلك ؟ . . طيب ! . . سنكون حذرين ! . . نعم نعم . . أنا أعرف أنك تنصحنى اصالحى الشخصى . . يظهر الدكتور بالى قرب حافة المسرح اليسرى وبصحبته السكرتيرة التى تمسك بيدها دفترا وقلما وتقف إلى اليمين . . الدكتور يمسك بيده كتابا ذا تجليد عادى ويعبث به دون وعى) .

حسنا . . شكرا . . مع السلامة . يضع باولوس السماعة ويفرك عينيه بأطراف اصابعه دون وعى أيضا ثم ينظر إلى دانييل (كيف حال والدتك ؟

دانييل : بخير ياسيدى ، وشكرا جزيلا ، تبعث لك بسلاماتها .

باولوس : شكرا .

(يفتح الباب المقابل ويخرج منه وعلى أثره مارسان ودانييل ، يغلق الباب ويتسلط عليه ضوء قوى بينما تنغمر بقية اجزاء المكتب العام في ضوء خافت ، ثم يتزايد الضوء على مقدمة المسرح .

الدكتور : ومن خلف هذا الباب ظلت تنبعث الصرخات طول الليل وربما كان هناك الآن أيها القارىء شقى آخر يصرخ من الداخل ، لكن فقدان الشعور يجعلنا صما مثل أم المريض الذى أحدثك عنه . (يعبر المنصة إلى الناحية اليمنى) . أما الابن فقد ظل يسمع الصرخات طول الليل ، لأنه كان واحدا من الذين يثيرونها . . . ومضت الساعات . (يصمت لحظة وينظر إلى الباب) حتى اقترب الفجر . . . وعندها . . . حدث شيء ما . . . (يغمر الضوء مرة أخرى المكتب العام . . . ينفتح الباب فجأة ويخرج منه باولوس الذى يهرع إلى التليفون ، يطلب رقما ما وينتظر ، يظهر أيضا لويحى) .

لويحى : انه سوء الحظ ياسيادة الرئيس ! (في هذه الاثناء يدخل مارسان وبوثر وهما يقودان دانييل الذى أغمى عليه ، كلهم بدون « جاكات » . . . شعت الشعر ومرهقون) .

باولوس : دكتور كليمينز؟ . . أيقظه من فضلك.. أنا المفتش العام باولوس (ينظر إلى المجموعة التى تتقدم نحوه) ألا ينتعش؟

مارسان : انه مثل المرأة الضعيفة .

باولوس : (بغیظ لا أسمح بتعليقات ! . . عندما أضع ثقى في

أحد فأنا أعرف ماذا أصنع ! أتفهم ؟ احمלוه !

مارسان : متمتما سترى وتقتنع ياسيادة الرئيس ! (يهبط مع
بوثر السلم المتنقل على اليسار وهما يسندان دانييل .

باولوس : اسمع يا كليمينز . . اصعد في الحال ومعه بعض
المنبهات للقلب . . لقد ابتلينا بمحنة . . نعم . . نعم
المعتقل . . . نوقف نبضه . . اعرف انك حذرتني . .
بسرعة من فضلك . (يضع السماعة ، ينظر إلى لويجي
ويشير إليه بأن يتبعه ، يخرجان من الباب المقابل ثم يغلقانه
خلفهما ، يتلاشى الضوء من المكتب) .

الدكتور : سبق وأن كتبت أن مرضى الحالة الاولى قد حكيت لهم
هذه القصة الثانية بكل تفاصيلها ، ونحن نعرف ماذا
كانت النتيجة . . كما ألححت عليهم أيضا بقراءة هذا
الكتاب الذى تلقته زوجة المريض ذات يوم (يتصفح
الكتاب الذى احضره معه) . . هذا اليوم كان حاسما ،
فبعد الحادثة الخطيرة التى وقعت في مقر رئاسة القسم
السياسى منحوا مريضى اسبوعا للراحة ، وقد وصل
الكتاب قبل انتهاء اجازته بيومين . يعود الضوء ليغمر
منزل عائلة بارنيس ، بينما يجلس الدكتور بالمى
وسكرتيرته في ركنهما الذى يسوده الظلام . يبدو
دانييل جالسا على المقعد المجاور للتليفون ومتدثرا بعباءة
منزلية ، يقرأ صحيفة وان كان يبدو عليه الذهول .
تدخل الجدة من الباب الأيسر ويدها بعض اللقائف
المبلولة التى تضعها على جهاز التدفئة لتجفيفها ، بعد هذا
تنظر إلى ابنها الذى لا يحرك ساكنا) .

الجلدة : لا تستطيع الرؤية هكذا !

دانييل : ايه ؟ .. لم أكن أقرأ .

الجلدة : لقد حل الظلام . (تذهب الى المصباح وتوقده ثم تضع النظارة على عينيها وتخرج من جيبها الأمامي ورقة سميكة كانت مطوية وممزقة وتفحصها قرب الضوء)

دانييل : (وهو ينظر الى ساعته) الساعة الثانية وعشر دقائق ! (يقذف بالصحيفة مغیظا على المنضدة فتذهب الجلدة لتناولها ثم ينهض دانييل ويأخذ في عبور الحجرة جيئة وذهابا وعليه امارات التبرم والضيق) في أى ساعة خرجت ؟

الجلدة : (وقد وضعت يدها خلف اذنها لا تستجماع الصوت) قلت لك من قبل انها خرجت فور ذهابك لتنام القيلولة ، خرجت تشتري قمصانا لك .

(تذهب نحو الأريكة وتترك الصحيفة على المنضدة الصغيرة ثم تعود لامعان النظر في الورقة السميكة تحت الضوء)

دانييل : كنا قد اتفقنا على الخروج بعد العصر معا . . مثل كل هذه الأيام . . . (يذهب في أثناء ذلك الى دولاب الكتب بحثا عن أى كتاب) فيم تمعنين النظر ؟

الجلدة : (تهز رأسها من حين لآخر) هذا الكتاب لم يكن من أجلك ! (تنظر اليه)

دانييل : (يترك البحث في المكتبة) أى كتاب ؟

الجلدة : الذى وصل صباح اليوم

دانييل : صباح اليوم ؟

الجلدة : لقد كنت نائما ، أعتقد ان مارى قالت انه من أجلك .

دانييل : لم تقل لى أى شىء (يبحث في دولاب الكتب) ولا أرى هنا أى أثر لكتاب جديد .

الجددة : (باستهانة) لعلها حملته معها

دانييل : (وهو لا يكاد يصدق) لماذا ؟

الجددة : انها غريبة الاطوار . . أنت تعرف ذلك

دانييل : (يذهب الى جانبها) أى كتاب كان هذا ؟

الجددة : هه ؟ . . لم أستطع رؤيته عن قرب . . ذهبت في الحال

لترمى الورقة التي كان مغلفا بها . وبعد هذا لم أراه .

(تمد له يدها بالورقة) هذا هو الغلاف . (يتناولـه

دانييل ويجلس تحت الضوء ليفحصه . يرفع رأسه فجأة

وينصت السمع ناحية الباب المواجه ثم لا يلبث ان ينحني

الورقة خلف ظهره ، تظهر ماري داخلة من الباب

المواجه ومعها حقيبة يدها وصندوق مستطيل من الورق

المقوى ، تتناول الجددة الصحيفة الملقاة على المنضدة

وتدور حولها ثم تذهب لتجلس الى جوار ابنها) .

ماري : معذرة يا دانييل ، أعرف انى تأخرت كثيرا .

(تترك الصندوق على المنضدة وتعبر المكان لتضع حقيبة

يدها فوق المكتبة) أهلا بالجددة !

(تعود لتقف الى جوار الصندوق الصغير) هل تريد أن

ترى القمصان ؟

دانييل : فيما بعد ، لماذا تأخرت هكذا ؟

ماري : قابلت صديقة قديمة ؟

دانييل : من هي ؟

مارى : لا تعرفها ، دعنى لتناول وجبة العصر معها ولكن الوقت سرقنا ، سأذهب لروية الصغير .

(تخرج ومعها الصندوق من الناحية اليسرى ، يخرج دانييل ورقة الغلاف ويضعها تحت الضوء) .

الجلدة : (بصوت هادئ) مكتوب عليها السيدة بارنيس ، أليس كذلك ؟

دانييل : نعم ، ولا يمكن قراءة اسم المرسل (يضحك بعصبية) يا لها من أسرار ! (يطبق يديه على الورقة وهو مستغرق في التفكير ثم يمد بها يده الى أمه) .

الجلدة : هل ألقيتها في سلة القمامة ؟ (يهز دانييل رأسه بالموافقة بينما تخفى الجلدة الورقة بين طيات ملابسها خفية وتنهض مستعدة للخروج) .

دانييل : أماه ؟

الجلدة : هه ؟ . . ماذا تقول ؟ (ينهض دانييل بدوره ويقترب منها ثم يسر إليها في أذنها) .

دانييل : سترين أنها أشياء لا قيمة لها ، ولهذا فهى لم تحرص على ان تقولها لى . (بدون أن ينظر إليها) . هل يمكنك ان تودى لى خدمة بسيطة ؟ قولى لها ان تأتى الى هنا وابقى انت بالداخل !

الجلدة : (باسمه) حاضر ! (تخرج ، أما هو فيذهب ناحية المدخل ، يمسك حقيبة يدها للحظة قصيرة مفكرا فى فتحها ولكنه يعدل عن ذلك ، يجلس على الأريكة ويتناول الصحيفة ، مارى تعود) .

- مارى : أتريد شيئاً ؟
- دانييل : كيف حال الصغير ؟
- مارى : هادئ جداً ، يمكننا أن نخرج اذا أردت ؟
- دانييل : لأى هدف ؟ لم تنفعنى بشيء كل محاولات النسيان !
- مارى : (وهى ذاهبة نحو دولاب الكتب) لآنك لم تكف عن التفكير . (تتناول حقيبتها وتعود على عقبيها) .
- دانييل : ألا تبقين قليلاً برفقتى يا امرأة ؟
- مارى : انى . . .
- دانييل : لا تريدان البقاء معى ؟
- مارى : يالها من حماقة ! (تنهد وتعود لتضع حقيبتها ثم تتناول أى كتاب وتجلس إلى جانب زوجها وتفتح الكتاب) .
- دانييل : ماهو هذا الكتاب ؟ (مارى تريه اياه) هذه القصة قد قرأتها انت من قبل ، لماذا لا تقرئين الكتاب الذى تلقيته هذا الصباح ؟ (تنظر اليه وقد اشتد شحوب وجهها) ألم تتلقى أى كتاب ؟ (تزوغ ببصرها عنه) ألا تحبين ؟
- مارى : نعم ، تلقيته
- دانييل : (بعدوبة) إلى أى حد بلغت بنا الأمور يامارى ؟ . .
- لا بأس على الاطلاق من أن يصلك كتاب ! الا اذا كان...
- مارى : ماذا ؟
- دانييل : هل عليه كلمات اهداء ؟ . . أحد المعجبين ؟

(تنظر اليه مارى وهى فاعرة فاها) لا تنظري إلى هكذا
في مثل موقفى . . . يجب أن نحلل بهدوء حتى هذ
الاحتمال (لا تستطيع مارى ان تكتم ضحكة عصبية
وهى تمسح وجهها بيديها) لا تروقى هذه الضحكة
يامارى !

مارى : الكتاب في الحقيقة .

دانييل : (بجفاء) شكرا . (ينهض ويذهب نحو دولاب الكتب)

مارى : لقد قرأته بأكمله في أحد المقاهى ، ولهذا تأخرت كثيرا ..

دانييل : (يفتح الحقيبة) من الذى أرسله اليك ؟

مارى : لا أدري !

دانييل : ستقولين لي عليه في حينه (يخرج الكتاب ، يقرأ عنوانه)

تاريخ موجز . . (ينظر اليها) ماذا ؟

مارى : للتعذيب السياسى ، تاريخ موجز للتعذيب السياسى .

لمؤلف أجنبي (يتصفح الكتاب بغلظة) وكما ترى . .

يشتمل على كثير من الصور . . والوثائق . وهو تاريخ

كامل إلى درجة البشاعة . . يصل حتى إلى أيامنا هذه .

دانييل : (وهو لا يتمالك نفسه) من الذى أرسله اليك ؟

مارى : ألا تشك في أحد ؟

دانييل : هذا كتاب مثير للغثيان .

مارى : ولكنه مليء بالأداة والوثائق ، انه صادق !

دانييل : كيف يمكن نشر هذه الأشياء ؟

مارى : بل كيف يمكن ارتكابها ؟

دانييل : انه أدب التهويل وخداع المساكين !

(يقذف الكتاب بغیظ على المنضدة ويتعد بجفاء)

مارى : ليس لى من أحد غيرك يا دانييل وأريد أن أصدقك
لن يكون بيننا كذب مرة أخرى . . أليس كذلك ؟
(تقوم وتذهب إلى جانبه) أنا أعرف انه لا يمكن
أن تكون أنت قد فعلت هذه الاشياء ، ولكنك تراهم
يرتكبونها وعليك أن تلزم الصمت ، أليس هذا ما
يحدث لك حقيقة ؟ (تحتضنه) انظر إلى ! (ينظر إليها)
هذه العيون . . نقية . . طيبة . . لا ، لست مثلهم ، لست
بحاجة لأن تقول لى ذلك . . وإلا كنت قد عرفت كل
شئ . . لكن . . كيف استطعت التعاون مع هؤلاء
الوحوش ؟ . . كان من الصعب عليك أن تهجرهم
عندما أدركت حقيقة الموقف ، يالك من مسكين ،
ولكم تعذبت ! ! ونحن لا نخفى عن بعضنا شيئاً سنظفر
بذلك . . . (تنفجر في النحيب بين ذراعيه) سنظفر
بذلك . . يادانييل !

دانييل : (بضعف) نحن نعيش في عصر رهيب يامارى ! وهم ليسوا
الا أدوات التنفيذ . . فاذا كانوا مذنبين فكل المجتمع
مذنب كذلك (يتخلص من يديها ويذهب إلى المقعد
الكبير) .

مارى : (بدهشة) أتبرر أعمالهم ؟

دانييل : انهم لا يفعلونها لمجرد القسوة ، فعلى المسجونين أن
يعترفوا . . (يجلس ويدفن رأسه بين يديه)

مارى : لكن . . بأية طريقة ؟

دانييل : عليهم أن يعترفوا .

مارى : بأكاذيب ؟

دانييل : (ينظر اليها) ماذا ؟ أكاذيب ؟

مارى : يجعلونهم يعترفون كذبا بأشياء لم يفعلوها !

دانييل : هل ورد ذلك أيضا في هذا الكتاب ؟

مارى : أجل .

دانييل : (بعد هنيهة) انهم يظنون أن . . هم أعداء . . ولا يمكن أن تأخذنا بهم رحمة ! . .

وما عدا هذا فلا يهم (فترة صمت ، تثبت عليه مارى نظراتها)

مارى : (وهى تلقى بظهرها على مسند المقعد) هذه هى عين القسوة يا دانييل . . الكتاب يقول ان التنكيل قد وجد في كل العصور ، لكن الهدف لم يكن فقط انتراخ الاعترافات .

هذا شئ شنيع ! . . هل تتصور . . ملايين من المعذبين ، مابين عيون مفقوة . . وألسنة منزوعة وخوازيق منصوبة . . يرحمون بالحجارة أو يجلدون بالسياط حتى الموت !

منهم من تقطع أوصالهم ، ومن تصلب أجسامهم ومن يدفنون أو يحرقون وهم أحياء .

ولم يكن هذا بهدف اجبارهم على الكلام ، بل كان لمجرد العقاب . . . كانوا هم الضحايا التى تقدم للآلهة .
والآن نفس الشئ . . . آه . . ! لا أطيق حتى مجرد

التفكير في هذا ، ماذا يفعلون الآن في مقر رئاستكم ؟
(بحدة) الى أى إله رهيب تقدمون اليوم القرايين ؟

دانييل : مارى ! .. من فضلك ..

مارى : (وهى تشير إلى الكتاب بهياج شديد) هل تعرف قصة العجل البرونزى ؟ .. كانوا يحشرون انسانا بداخله ويشعلون النار من تحته ، وكان الثور ينخور .. وهل تعرف قصة الفتاة البرونزية ؟ .. من الخارج على هيئة تمثال العروس ... كان زفافا فاجعا يموت فيه العريس ببطء والاسياخ تحترقه في ظلمة هذا القبر المعدنى الرهيب .

... والأشياء الأخرى الكريهة المقززة التى كانوا يفعلونها في النساء ، أثداء تقطع وعفة تنزع ! (ينهض بتوتر) هذا هو الشر من أجل الشر ! .. وهذه هى نشوة الدماء الرغبة القذرة لتعذيب أناس لا حول لهم ولا قوة بمنتهى القسوة والجبن !

دانييل : وخلال عصور أخرى كانت المجتمعات بأكملها تقوم بهذا التعذيب ، كان الجميع أيضا مذنبين !

مارى : الجميع ، لا ، فقد وجد دائما من أدانه ، كما أن الكثيرين ، جدا حاولوا بجهد الطاقة تفاديه (بعذوبة) مثلك .. متواطئ على الرغم منك .. ومثلى .. متواطئة عن جهل .. ولكن هذا سينتهى حالا يا دانييل .. عليك أن تتركه .. غدا على الفور تطلب التقاعد .. وأعود أنا إلى المدرسة في هذه الاثناء .. وسنجد وسيلة أخرى لكسب العيش ، ألا تريد ذلك ؟ (ينمو الضوء في الجانب الأيمن حيث

يجلس الدكتور بالمى ممليا على سكرتيره التى تجلس على الكرسي المجاور له . وعندما يتكلم يظل كل من مارى ودانييل بلا حراك على الاطلاق كأنما قد شلت ملامحهما وتجمدت اوضاعهما) .

الدكتور : آه لو أمكن ايقاف عجلة الزمن ! حتى ولو بالقدر الضرورى لكى نتأمل الاشياء ، لكيلا نندم على ما فعلناه بعد أن نكون قد أدينا الدور فعلا ، ففي نطاق العلاقات البشرية يعتبر الكذب هو الدودة التى تنخر الروابط التى تصل ما بين الزوجين ، ولعله حينئذ يكون من الأفضل أن لا تكتشف الحقيقة ، بعد أن تكون الروابط قد تآكلت بما فيه الكفاية . وكطبيب كان على أن أقول حينئذ لمريضى : لا تنفوه بكلمة ! لكن شوقه المستعر للاعتراف والانغمار في تيار الحنان الذى يتدفق من زوجته المسكينة . . كل هذا قد جرفته بموجه الكاسح ، لان الزمن ليس إلا اندفاعاتنا . الزمن هو نحن وليس من الممكن ايقافه .

السكرتيرة : ليس من الممكن ايقافه .

(يتلاشى الضوء من الجزء الجانبي في المسرح حتى يترك الدكتور وسكرتيره في منطقة الظل .)

مارى : (مكررة) ألا تريد ذلك ؟

دانييل : (بعد لحظة وبدون أن ينظر اليها يقول بعصبية شديدة) لقد ذهبت لاستشارة الدكتور بالمى .

مارى : ماذا ؟

دانييل : في اليوم السابق على اجازتي ، وقد عثر على السبب فيما يحدث لي .

مارى : مر نجفة استمر .

دانييل : انه . . نوع من عقاب النفس ، فاهمة ؟

مارى : لتواطئك ؟

دانييل : بل لشيء أبعد من ذلك يامارى .

مارى : ماهو ؟

دانييل : كان بودى أن تكونى قد حدثت به !

مارى : تكلم !

دانييل : كان على أن أقوم بتنفيذ . شيء رهيب يامارى ، فزوج صديقتك لم يكن يريد أن يتكلم وباولوس أمرنى بأن اضغط عليه . . بطريقة مفرعة .

مارى : (وقد استبد بها الرعب) أنت !

دانييل : نعم ، أنا .

مارى : حتى أنت !

دانييل : نعم . (مارى وقد انهارت قواها تتكىء على مسند المقعد) .

مارى : ماذا فعلت فيه ؟

دانييل : اسوأ ما يمكن أن يفعل في رجل .

مارى : لا أفهم ماذا تعنى .

دانييل : تصورى أسوأ شيء ، ولانى فعلت هذا ، فقد تكفل

في داخلي بمعاقبتي . . وتركني في نفس الحالة التي
تركته فيها . . أو تكفل بهذا أحد ، لأنه يوجد انسان
آخر في داخلنا ، يتولى عقابنا . . انسان آخر ! !
تكنم مارى اناتها الموجهة وهي تنظر اليه بعيون جاحظة
ثم لا تلبث أن تجلس بصعوبة على المقعد وتغمض عينيها .
مارى ! . . اننى أستحق الاحتقار . لقد فكرت
كثيرا في هذه الأيام ، وكل التبريرات لا تقنعنى انا
نفسى . . لكن ما أريد أن أقوله لك هو اننى نادم الى
أبعد الحدود ، ولا يمكنك أن تتصورى مدى الغثيان
الذى أشعر به من نفسى .

(يخطو بضع خطوات نحوها ثم يتكىء على المقعد ويغمغم)
ساعدينى على ان أكون هذا الانسان الآخر الذى يوجد
بداخلي ، فليس لى أحد في الدنيا سواك .

(يتشجع قليلا ويمسك بيديها بينما هى مستغرقة في البكاء)

مارى : (بوهن وبدون أن تنظر اليه) اترك هذه المهنة !

دانييل : سأحاول ذلك يا مارى ! لا بد لى من عمل شئء كسى
أخرج من هذا الحب المظلم .

مارى : أمامك طريق طويل للتوبة .

دانييل : (باشفاق شديد هل تريدان أن تعيشها بجانبى ؟)

(تن مارى وهى تخفى وجهها بيديها ، يبدأ في التناهى الى
سمعنا صوت الجدة وهى تترنم بأغنية فينوس السابقة ثم
لا يلبث ان يقترب . . يعتدل دانييل ثم يقطع الحجرة
جيئة وذهابا محاولا تغطية الموقف . تدخل الجدة وتنظر
اليهما ثم تذهب ناحية جهاز التدفئة) .

الجددة : دانييليتو الصغير مبلول جدا ، سأغير له اللفائف !
(تتناول لفافة وتتحسس مدى جفافها بينما ترفع ماري رأسها قليلا كان لابد من أن أغسل له ، واضع له مسحوق « التلك » ، فقد التهبت اشيائه من كثرة البول .
(تتأهب للخروج وفجأة تنفجر ماري اذ تجهش في بكاء متواصل يترأيد حتى يتحول الى صراخ تقشعر له الابدان . يهرع دانييل الى جانبها بينما تتوقف الجدة) .

دانييل : ماري !

ماري : وفي الاطفال ايضا يا دانييل ! .. في الاطفال !

دانييل : ماري ! من فضلك .

الجددة : (تترك اللفافة) ماذا حدث لها ؟

ماري : (تنهض وهي ترتجف) كانوا يلقون بالأطفال في الجحيم ، يحرقونهم أحياء .

دانييل : (وهو يمسك بها) ماري !

ماري : بينما كانوا يدقون على طبول ضخمة تغطي على صرخاتهم .

دانييل : هدئي من روعك !

ماري : (صارخة) آه ! لكي يكتموا صرخاتهم ! (تصرخ مرة أخرى)

الجددة : (ممسكة بها من الذراع الآخر) ماري ! ابنتي !

ماري : كيف كان يصرخ ، كيف كان يصرخ هذا الطفل وهم ينترعون ما بين فخذه في معسكرات الاعتقال !

دانييل : ماري ! ماري ! عبتا يحاول أن يسيطر عليها .

ماري : أمام أمه !

(لا تزال تنبعث منها الصرخات الأليمة حتى تنهار
فجأة ، يحملها دانييل بين ذراعيه ويخرج بها مسرعا من
الناحية اليسرى . وفي نفس الوقت نسمع من بعيد لحن
« ليالى شوبن » . تنظر اليهما الجدة باضطراب شديد
وهما يخرجان ، ثم تنظر فيما حولها فترى الكتاب ،
تقترب وهي تخرج منظارها ثم تضعه على عينيها ، تتناول
الكتاب وتقرأ عنوانه ثم تقلب صفحاته حتى تتوقف عند
صورة تتأملها . وبهدوء شديد تعود الى طي صفحاته ثم
تركز بذهول نظراتها في الفراغ . تواصل السكرتيرة
الكتابة بينما الدكتور ساكن لا يريم .)

ستار

الفصل الثاني

(يرتجف « البيانو » بأنغام « التويست » ويرتفع الستار عن المسرح وهو مظلم ثم يأخذ الضوء في انارة المكتب العلوى ، يصعد دانييل على السلم المتحرك من اليسار وعندما يرى انه لا يوجد أحد بالمكتب يتردد قليلا ثم يقرب من الباب المواجه يرهف السمع ، يهم بأن يفتحه ثم لا يلبث ان يعدل عن ذلك ، يجلس أخيرا على الأريكة ويشعل سيجارة بعصبية . سكتة . تكف عقبها الانغام المنبعثة من « البيانو » فجأة ويفتح الباب المواجه للجمهور تم يدخل منه باولوس ويغلقه من خلفه ، يقوم دانييل واقفا) .

باولوس : ها أنت قد عدت !

دانييل : طوع أمرك يا سيادة الرئيس .

باولوس : (وهو يمد له يده) كيف كان أسبوع الراحة هذا ؟

دانييل : (يتسم بجمود) قصير !

باولوس : (يضحك ويذهب ناحية المنضدة حيث يضع عليها

بعض الأوراق) لكنك عدت جديدا مثل الساعة ! . . .

هه ؟ . . كم يسرنى هذا ! (يجلس ويأخذ في تقليب

الأوراق أمامه) لعل والدتك بخير ، وزوجتك . .

وابنك الصغير !

دانييل : كلهم بخير . . شكرا . .

منتديات مكتبة العرب باولوس جئت في الوقت المناسب ، فبولسكى لم يعد حتى الآن

من الجنوب وقد قمنا ببعض الاعتقالات الجديدة . .
وصلت إلينا بعض الانباء السرية من الخارج ونحن الآن
نقترب من الرأس المدبر . (يقترب دانييل ويطفيء
سيجارته في المنفضة) لكن . . اجلس ! (يجلس دانييل)
نحن في أشد الحاجة الآن الى عملية ناجحة . . أتعرف ؟
فمحنة هذا الاحمق المسمى مارتى كان لها تأثير سيئ جداً
في الأوساط العليا . . لكن . . (يبحث بين الملفات ثم
يتناول حافظة) لعل من الافضل أن تقرأ هذا بنفسك
(يعطيه اياه) ادرسه ثم عد هذه الليلة ! (يقوم واقفاً
وعلى أثره دانييل) انتبه جيداً لكل ما يتصل بشخص
اسمه « جاوس » فهذا هو الرجل الذى سيعهد اليك به .

دانييل : هل اعتقل فعلاً ؟

باولوس : طبعاً . (يربت على ذراعيه بعطف) حسناً يا بنى !
ها أنت هنا مرة أخرى ، أتريد أن تحيى زملاءك ؟ انهم
هنا في الداخل .

دانييل : سأراهم في المساء

باولوس : (وهو في طريقه للخروج معه) أنت عارف . . في
الحادية عشرة بالضبط . . ومرحباً بك . (يتركه
ويتجه نحو الباب المقابل)

دانييل : (بصعوبة) يا سيد باولوس (يلتفت إليه المفتش في
الحال وينظر اليه ببرود ، من الواضح انه كان ينتظر
هذا النداء)

باولوس : ماذا تريد ؟

دانييل : كنت أريد يا سيد باولوس ان أطلب منك معروفا كبيرا
باولوس : وما هو ؟

دانييل : (يقرب منه) اسمع يا سيادة الرئيس . . لم أكد
أستريح في هذه الأيام . . وما زالت حالتي سيئة ! . .
باولوس : لا يبدو عليك التعب !

دانييل : اننى مرهق جدا .

باولوس : عندما كشف عليك الدكتور كليمينز لم يجد عندك شيئا
ذا أهمية تذكر . . ما هو المعروف الذى تطلبه ؟

دانييل : لو أمكن أن تسمح لى باجازة . .

باولوس : لمدة ؟

دانييل : مبدئيا . . لاجل غير مسمى ، حتى أسترد تماما حالتي
الطبيعية ! (سكتة ، يفكر باولوس في الأمر ثم يذهب
بيطء ليجلس على منضدته . . ومن هنا يرمقه بنظرات
حادّة .)

باولوس : اجلس ! (يجلس دانييل ، ينظر باولوس الى ساعة يده
ثم الى الباب المواجه) منذ ستة شهور كان دالتون مريضا
أتذكر ؟ كان عليه ان ينزل كل أربع ساعات ليأخذ
الحقنة ، وكان يتمدد من حين لآخر على نفس هذه
الأريكة عندما تصرعه الحمى . . ومع ذلك لم يرد أن
يترك العمل .

دانييل : انا لا أحاول ان أقارن نفسى بأحد .

باولوس : لكننى أفعل ذلك . . وأنت أحسن من دالتون . ماذا

جرى لك ؟ . . لا تسمح بأن يخلو لهم الجو ! حاول ان تثبت لهم من أنت ، انا أفهم حالتك ! فأنت تمر بلحظة ضعف لا يبرأ منها أحد ، لكن لابد من تجاوزها والتقدم الى الامام ، تثبت يدي حتى يسهل عليك ذلك. وبدون ان تبوح لأحد بأى شئ . . هه ؟ هذا سر فيما بيننا (ينهض) هيا . . لا تفكر في الأمر أكثر من ذلك ، ادرس هذا والى اللقاء ليلا .

دانييل : (وهو ينهض بدوره) كم أنت طيب يا سيد باولوس ! أشكرك من كل قلبي ، صدقني !

باولوس : (ضاحكا) كنت أعرف انك لن تخيب أملى فيك .

دانييل : على أية حال . .

باولوس : ماذا ؟

دانييل : حتى ولو لبضعة أيام فقط . . انظر الى يدي . . إنهما ترتجفان ! . . ربما كنت أضعف بكثير مما تظن . . (يعود باولوس للجلوس بتثاقل بينما يظل دانييل واقفا) .

باولوس : (بدون أن ينظر اليه) يمكننى ان امنحك هذه الاجازة عندما تكون الحالة اهدأ ، لكنك تعرف ان هذا الآن مستحيل ، بل ان الاسبوع الذى حصلت عليه كان علامة ضعف منى وانتقدت عليه بالفعل ! نحن قلة بالنسبة لما يجب ان نحبطه ونقضى عليه ، اننا محتاج اليك ، فهل انت مصر على طلبك ؟

دانييل : صدقنى اذا قلت لك انه لا مناص لى من ذلك !

باولوس : (ينظر الى ساعته ثم الى دانييل) حسنا . . حتى الآن

كنت أكلمك كصديق . . ولكنى اوجه اليك الحديث
منذ هذه الساعة كرئيس ، طلبك مرفوض ! تفضل
بالانسحاب !

دانييل : (بعد لحظة) لا أعرف اذا كنت تستطيع تحمل هذا !
باولوس : (مغیظا) لكن . . لماذا كل هذا العناد ؟ (ينهض) لابد
أن ألفت نظرك الى شىء خطير ، في مثل هذه الاوقات
عدم التحمل معناه التعاطف مع الاعداء .

دانييل : ماذا ؟

باولوس : تماما مثلما سمعت (يدور حول المنضدة ويذهب الى
جواره) أتظن أننى لا أعرف ماذا جرى لك ؟ فجأة . .
هؤلاء الحمقى يثيرون رثاءك ، لكنهم لو كانوا فى مكاننا
لم يكونوا أقل قسوة ، ثم تأتى بعد ذلك للتعاطف معهم
دانييل : تعرف سيادتك اننى لا أفعل ذلك .

باولوس : أصبحت لا أعرف شيئا يا بنى ، فجأة ترى أنهم بشر ، ان
هذا لم يكن ليحدث لك لو تذكرت ماذا يفعلون والخطر
الذى يمثلونه بالنسبة للجميع ! . . وهكذا ينبغي ان تكون
حذرا . . لا يمكننا ان نشمل بحمايتنا مرهقين ولا من
يشبه فى تماسكهم « صلابتهم » لانه يمكن ان ينشأ من
بينهم حتى الحائنون !

دانييل : لا يمكن ان يصل الأمر الى هذا الحد ! فهما شيئان مختلفان
تماما !

باولوس : أتظن ذلك ؟

(يقطع عليه الحديث الباب المواجه للجمهور اذ يفتح

ويدخل منه كل من لويخى ومارسان وهما بالقميص و
« البنطلون » فقط) .

لويخى : معذرة يا سيادة الرئيس ! لقد اعترف الآن بأحد العناوين
وينبغي ان نذهب اليه في الحال !

باولوس : ألا تكون كذبة أخرى ؟

لويخى : لابد من التحقق !

باولوس : خذ معك دالتون (موجهها الحديث الى مارسان) أما
أنت فاستمر في الضغط عليه فما أكثر ما يكذب .

مارسان : سمعا وطاعة ! مرحبا بك يا بارنيس ! (يخرج)

ويغلق الباب وراءه بينما يتناول لويخى سترته الخارجية
من على المشجب ويرتديها) .

لويخى : ما أسعدنى برؤيتك ! (يمد يده لدانييل) الى اللقاء في
المساء ، أليس كذلك ؟

(يرتب على كتفه ويخرج مسرعا هابطا من السلم
الأسير ، اما باولوس فيأخذ في فرك عينيه باطراف
اصابعه وهو مستغرق في التفكير ، ثم يخطو بضع
خطوات الى الداخل ولكنه يتوقف ويلتفت اليه)

باولوس : ماذا تفعل هنا حتى الآن ؟

دانييل : كنت أقول لك يا سيدى انك فهمتني خطأ . .

باولوس : لقد فهمتك جيدا ، وقلت لك حذار ان تغفل عن نفسك
(يقترب منه ويخفض صوته) ليس بعيدا على أى أحد
ان يجد نفسه يوما بين هؤلاء المعتقلين ، وها أنت ترى
كيف نضطر الى معاملتهم بهذا الشكل . .

- دانييل : (مدعورا) هل هو تهديد ؟
- باولوس : على العكس ، فهأنذا مرة أخرى أتجاوز الحدود لصالحك
لا أريد ان أراك يوما بين هؤلاء الاشقياء .
- دانييل : لن يكون هناك اى داع لان ترانى بينهم . . اللم الا اذا
اردتم افتراء سبب ما . . !
- باولوس : افتراء ؟
- دانييل : كنت أعنى . .
- باولوس : ألا تلاحظ ان اسلوبك يشبه اساليبهم بشكل غريب عندما
ينكرون ؟ . . انا مريض . . أنتم تختلقون . . .
- دانييل : ليس الأمر سواء !
- باولوس : اصحيح هذا ؟ (يتأهب للجلوس) اذن . . لا مانع
لديك من ان تشرح لى لماذا كانت « لوثيلا مارتى » فى
بيتك منذ ثمانية أيام ؟
- (يتقهقر دانييل خطوة الى الوراء وقد ألجمته الدهشة)
- دانييل : أنت مجنون ؟ . . انها . . تلميذة قديمة لزوجتى ! !
- باولوس : أعرف هذا .
- دانييل : (يقترب من المنضدة ويترك فوقها الحافظة وهو يميل نحو
المفتش) اذن . . عن أى شىء تتكلم ؟ جاءت تبحث عن
شفاعة لزوجها !
- باولوس : لم تقل لنا شيئا من ذلك !
- دانييل : هذا شىء مضحك ! . . اذا لم يكن رجل البوليس واثقا
من أنه فوق مستوى الشبهات فان أحدا لن يرغب في
تحمل هذه المسؤولية !

باولوس : على العكس ، انه لا يقوم بواجبه على الوجه الاكمل
الا اذا أدرك أنه هو الآخر يمكن ان يشك فيه ! (ينهض
ويذهب الى جانبه) خذ هذا في اعتبارك جيداً (يتناول
الحافظة ويقدمها له) والآن . . خذ هذه الحافظة فأنا لم
افقد ثقتي بك ، وكل ما يحدث هو أننا نراقب (يأخذ
دانييل الحافظة) انك ستصبح من أحسن رجالنا يا بني !
الى اللقاء مساء !

(يخطو بسرعة نحو الباب المقابل ويخرج مغلقاً خلفه ،
يظهر الدكتور بالمي من الجاب الأيمن وقد ابتدأ الضوء
في التسلط عليه ، يسمح دانييل وجهه بيديه ثم يشرع في
النزول من على السلم الايسر ، يتلاشى الضوء من الجزء
العلوى) .

الدكتور : لابد وأن المقابلة كانت هكذا بشكل تقريبي ، فهي لم
تحكمها لي ، وانما عرفتھا - مثلھا في ذلك مثل بعض
التفصيلات الأخرى من القصة - فيما بعد ، اما هي
فقد جاءت الى اثر عدة أيام تحدثني عن أشياء أخرى .
ولعل هذه الحالة أكثر شيوعاً مما يعتقد الناس عادة :
يأتى الينا المريض ويبوح لنا بطرف من أسرارہ . . ثم
لا يلبث ان يأتى لا استشارتنا الطرف الآخر في القصة ،
وهذا كثيراً ما يساعدنا في العلاج ، لكن في هذه الحالة
بالذات ، ماذا كان بوسعي ان أفعل ؟

(يترأيد الضوء على الجزء الجانبي ، تجلس ماري على
المقعد الكبير ويقترّب منها الدكتور) .

ماري : ارجو ألا أكون قد اتعبتك معي يا دكتور !

الدكتور : (يجلس على الكرسي) لست متعجلا !
مارى : لكنك لن تقول لزوجي اني جئت لرويتك ؟
الدكتور : طبعا لا .

مارى : ماذا استطيع ان أفعل يا دكتور ؟
الدكتور : يمكنك التغلب على متاعبك الى حد ما ، ولكنك تمرين
بمرحلة سلبية جدا . . متى شعرت لأول مرة بحاجتك الى
الصراخ ؟

مارى : عندما اعترف لى بما فعله .
الدكتور : انت التى أوحى اليه بطلب الاجازة
مارى : رجوته ان يطلب الاحالة الى التقاعد
الدكتور : هل كنت تظنين انهم سيلبون رغبته ؟
مارى : كنت أريد ان أطمئن الى ذلك .
الدكتور : هل جاءتك حالة الغثيان لأول مرة بعدما عرفت النتيجة ؟
مارى : لا . . كان هذا في اليوم السابق .
الدكتور : اتنسبونها الى سبب محدد ؟

مارى : نعم .
الدكتور : حمل . . مثلا ؟ !
مارى : لا . بالطبع لا . ولكنك تعرف ما الذى فعله !
الدكتور : معنى هذا أنك تعقدين صلة بين هذا وذاك .
مارى : هل أخطئ في ذلك ؟
الدكتور : لا أظن . . ولكن لماذا لا تتابعين رواية ما كنت تحكيه

يا سيدة بارنيس ؟

مارى : في تلك الأمسية .. كنت انتظره وانا في منتهى توتر الاعصاب . وصل الى المنزل ساعة العشاء ولكنه كان عازفا عن الاكل . (تنهض واقفة) قبلها .. كنت قد تكلمت مع والدته . . . (ينمو الضوء في المنزل فترى على المنضدة اناء الزهور الفارغ . تذهب مارى ناحية الشمال ثم تلتفت) اذا كان من الممكن ان يسمى هذا كلاما ! ! (تصعد الدرج وتأخذ في عبور الصالة جيئة وذهابا وهي نافذة الصبر ، ينشر الظلام جناحيه على الدكتور . تنظر مارى الى ساعتها ثم تدخل الجدة من الناحية اليسرى ومعها اشغالها وبعض اللفائف ، تذهب الى جهاز التدفئة وتضعها عليه كي تجف بينما ترقبها مارى) .

الجدة : لو لم اكن قد غسلت هذه لبقينا بدون لفائف !

مارى : لماذا تضعينها هنا ؟ قد يأتى أحد ..

الجدة : (لا تسمع) منذ أيام وقعت منى واحدة الى فناء الدار . . وظلت معلقة في نافذة الطابق الاول . . واضطرت للنزول اليه كي أحضرها (تشعل المصباح وتنظر الى اشغالها) بيت كأنه قصر ! (تجلس وتشرع في العمل) لم ألق منهم مقابلة حسنة . . يبدو أنهم كانوا يقولون انه يجب نشر الغسيل بحرص حتى لا يسقط . . لكننى لم أسمع شيئا ! (تنظر اليها) أحيانا لا أسمع ! .. أتعرفين ؟

مارى : جدتى ! !

الحدة : ه ه ؟

مارى : (بصوت مرتفع وهى تشير الى اللفائف) لماذا لاتضعينها على جهاز تدفئة آخر ؟

الحدة : (وهى تفتح فمها لتسمع كما هى الخاصة المميزة فى حركات الصم) جهاز تدفئة آخر ؟

مارى : نعم .

الحدة : هذا هو الجهاز الأقوى ، وهو يجففها قبل غيره . .

(تعد بصوت منخفض « غرز » شغلها بينما تواصل مارى تجوالها)

مارى : دانييل تأخر ! (تنظر الى الحدة التى تواصل عملها)

الحدة : (ترنم)

تناول قرص فينوس

واضحك من الألم التعيس !

ما أسعد العالم عندما وصل

كساحريهب السعادة: فينوس

(فى هذه الاثناء تقترب مارى من اللفائف وتتحسسها

لتعرف مدى جفافها ، تنقبض ملامح وجهها وهى تعود

لتتقدم الى صدر المسرح مركزة نظراتها على الفراغ . .

وبينما توشك الحدة على الانتهاء من أغنياتها تشعر مارى

بموجة من الغثيان فتعود على عقيبتها ناحية جهاز التدفئة

ويأخذ جسمها فى التقلص ناحية الأمام ، ترك الحدة

اشغالها وتقوم واقفة)

مرة أخرى ؟ (تذهب ناحيتها) هل أحضر لك شيئاً ؟

مارى : لا يا جدة ، شكرا (تبتعد عنها ذاهبة الى المقعد المجاور
للتليفون حيث تجلس عليه منهوكة القوى بينما تتبعها
الجدة ببطء وقد استبد بها الفضول .

الجدة : هل . . تنتظرين طفلا آخر ؟

مارى : (تنظر اليها بفزع) لا ! !

الجدة : هه ؟ . . أظنه يأتى في الوقت المناسب . . ولعلها بنت . .
حتى يكون عندكم زوج من الأطفال : : ولد وبنت !
(تهرب مارى بنظراتها وهي تنكر صحة هذا) ألم تقولى
لدانييل ؟

مارى : أقول له ماذا ؟

الجدة : هه ؟ عن الدوار الذى يعتريك

مارى : (تنهض حائقة) لن احمل ابدا بطفل آخر يا جدتى . .
على الاطلاق ! !

(تنهد الجدة وتذهب الى الأريكة لتتناول شغلها بينما
تعود مارى الى التجول بعصبية واضحة) .

الجدة : (وهي تجلس) ألا تهدين ؟

(تنظر اليها مارى وتذهب للجلوس بجانبها بينما تواصل
الجدة عد « عرزها » بصوت منخفض) .

مارى : جدة ! . . ربما حدث لنا شىء جديد

الجدة : شىء جديد ؟

مارى : لا يتعلق بما تفكرين فيه . . ربما ترك دانييل وظيفته !

الجدة : ماذا تقولين ؟

مارى : اقول يا جدة ان دانييل يريد ان يترك وظيفته (تكلمها بالقرب من أذنها) لقد ذهب بعد الظهر . . . اليوم بالذات . . ليطلب هذا .

(تضع يدها على كتف الجدة) أيسرك هذا ؟ سأعود أنا الى عملي في المدرسة ريثما يبحث هو عن عمل آخر !
الجدة : أترك وظيفته ؟

مارى : (وهى تهز رأسها بحمية علامة الايجاب) نعم ! (صمت)
الجدة : أأنت انت التى ادخلت في رأسه هذه الافكار ؟
قولى الحقيقة !

مارى : يجب عليك يا جدتى ان تفهمى الموقف ، انه مريض . . لانه . . أصبح لا يطيق كل ذلك !
(تنظر اليها الجدة بعيون تجسم فيها الضيق والعذاب)
لا بد من أن نتفادى أن يحدث لدانييليتو نفس الشيء
الجدة : دانييليتو ؟

مارى : يجب أن لا يخرج دانييليتو الصغير مثل أبيه . . ينبغي علينا - نحن الاثنين - ان ننفذه من هذا المصير ، لقد وعدنى دانييل انه ستركه . . ان شاء الله !

الجدة : لا أسمعك جيدا !

مارى : انهم هناك يا جدتى يرتكبون اشياء فظيعة ! (تهرب الجدة بنظراتها دون أن تستأنف اشغالها) معذرة . . اننى أشعر بوحدة موحشة . . لكنك يا جدتى تعرفين . . أنا متأكدة من أنك تعرفين كل شيء فانت تعرفين باولوس المفتش منذ كان شابا . . (لحظة

(صمت) أو انك لم تكونى تعرفين ؟ .. هل
حدث لك ما حدث لى ؟ .. اننى كنت لا أعرف
(صمت)

أو ربما انك لا تجربين على تصديق ذلك ! لكنك انت
التي ساعدته على التورط في هذا الموقف وعليك
أن تساعدته الآن على الخروج منه !

(الجدة تغرورق عيناها بالدموع)
أنا أفهم كل شيء ! انه أمر محزن للغاية أن نرى
أولادنا هكذا ونحن في نهاية حياتنا ! .. أنا أحبك
يا جدتى ! (تحتضنها) سيساعد كل منا الآخر ..
كى ننقذ دانييلشو الصغير ! على الأقل .. لكن ..
ساعدينى .. ساعدينا !!

الجدة : (ترفض بدون ان تنظر اليها) أنا لا أسمعك .. لا أسمع
أى شيء .. لا .. لا .. أسمعك !

مارى : (تنظر اليها وتتمتم بدون أمل) يا الهى !!
(تنهض وتذهب الى المقعد الكبير حيث تتكى عليه
ثم تلتفت لتنظر اليها ، اما الجدة فلم تتحرك من مكانها
وان كانت الآن تامل شغلها ببطء شديد قبل ان تعود
لتنشأ نفسه بصعوبة ، ترفع مارى رأسها اذ تسمع شيئاً ما)
ها هو !

(يظهر دانييل من الباب المواجه للجمهور وييده الحافظة)

دانييل : (يقترب من أمه ويقبلها) أهلا بك يا أماه !

الجدة : أهلا بك يا بنى (تواصل اشغالها)

دانييل : أهلا ماري !

(يتجه ناحية دولاب الكتب متفاديا نظراتها ويترك فوقه الحافظة ، ثم يمد يده الى جيبه الداخلي ليخرج « المسدس » ولكن نظره يلتقي عن غير وعى بنظرات ماري فيبتعد عن المكتبة وهو يزوغ ببصره دون ان يخرج السلاح . ماري ترمقه وهو يذهب الى الكرسي الموضوع على الجانب الأيسر من مقدمة المسرح ويجلس عليه ، عندئذ تخطو نحوه بضع خطوات ، وعندما يلاحظ دانييل انها تريد الكلام يقاطعها قائلا) .
أعطيني كأسا ! . . اذا أردت !

ماري : ألا تفرط في الشراب هذه الايام ؟ (تذهب نحو دولاب الكتب)

دانييل : لا يهملك ! . . لا أفرط !

ماري : (وهي تفتح الدولاب الصغير) ماذا تريد أن تشرب ؟
دانييل : من النبيذ المعتق .

(تندُّ عنها نظرات حادة الى الحافظة وهي تصب الكأس دانييل لا يخفى عليه ذلك) ألا تشربين معي ؟

ماري : (وقد داعبها الامل) هل حدث شيء نشرب نخبه ؟
(يبتسم وتصدر عنه همهمة مبهمه ، اما هي فتغلق الدولاب الصغير وتقدم اليه الكأس)

دانييل : شكرا ؟ (يشرب)

ماري : ماذا حدث ؟

دانييل : لقد خرجت بانطباعات طيبة ، . . سنتكلم فيما بعد

- مارى : هيا بنا الى الداخل !
- دانييل : نحن هنا على ما يرام !
- مارى : لأن أملك هنا . .
- دانييل : انها بدون الجهاز . . لا تسمع
- مارى : ولكنها ترى .
- دانييل : (ينهض ويخطو بضع خطوات) ما أشهى هذا النبيذ ؟
ألا تريدن منه حقيقة ؟
- مارى : انت تعرف اننى لا أريد !
- (يذهب دانييل ناحية الدولار الصغير ويفتحه ، ترفع
مارى صوتها) ماذا حدث يا دانييل ؟
- دانييل : لقد قلت لك . (يصب لنفسه كأسا أخرى)
- مارى : لم تقل اى شيء ، هل وافقوا لك على الاجازة ؟
- دانييل : اعتقد اننى سأحصل عليها !
- (يغلق الدولار الصغير ويتكى على دولار الكتب
وهو يشرب)
- مارى : (وهى تخطو نحوه) انت تخدعنى !
- دانييل : مارى ! . . هذه الأشياء لا يمكن الفوز بها فى لحظة
واحدة !
- مارى : (وهى تعصر يديها) - رفضوا طلبك ! !
- دانييل : انها مسألة أيام (يضع الكأس على حافة الدولار)
- مارى : (بيأس) يا الهى ! . . عونك ! (تواجه الجدة)
ساعدنى يا جدتى !

(تنظر اليها الجدة برهة)

دانييل : (يتقدم نحوها خطوة) لا تحشريها في الموضوع !
(تحاول ماري السيطرة على نفسها فترجع مبتعدة الى
الوراء)

مارى : أيجب عليك أن تعود هذه الليلة ؟

دانييل : نعم .

(تجلس ماري وهي مكتئبة على المقعد المجاور للتليفون ،
اما دانييل فيتناول كأسه ثم يذهب الى الكرسي الموضوع
على الجانب الأيسر حيث يجلس بدوره)

مارى : هناك معتقلون جدد ؟ (تنظر الجدة اليهما)

دانييل : لا . (لحظة صمت)

مارى : ألا تكذب علىّ الآن أيضا ؟ (صمت) لقد خسرنا كل
شيء !!

دانييل : (يعبث بالكأس مكتئبا بدون ان ينظر اليها) ماري !!
هل ترضين بان تعيشي بجانبى مثل أختي ؟

مارى : (تنظر اليه وهي مشوشة التفكير) خسرنا كل شيء !
(لحظة صمت ، دانييل يزفر بعمق ، ولكن الجدة التي
كانت مستغرقة في الشغل تقطع حبل الصمت)

الجدة : هل كلفك السيد باولوس ، اليوم أيضا ، بابلاغ تحياته ؟

دانييل : هه ؟ (يتبادل الزوجان النظرات) نعم يا أمي !

الجدة : (وهي تستأنف شغلها) من الغريب اننا لم نتقابل من
يومها ، كان من قبل في غاية المثابرة ، أما انت فلا
تذكر لانك كنت لا تزال . .

دانييل : (وهو ينهض) نعم يا أمي . (يذهب ليجلس إلى جانبها
بينما تستمر هي في حديثها) .

الجدّة : في غاية المثابرة ، وعندما مات والدك اتخذ موقفا يثير
الاعجاب ، وقد كان هذا أقل ما يستطيع ان يعمل به
.. فلم تكن مواقفه السابقة طيبة ؟

دانييل : لم تكن طيبة ؟

الجدّة : هه ؟ .. لم يغفر لنا أننا قد تزوجنا ، فقد كان يريد
الزواج مني ، ولهذا استاء كثيرا حتى انه هدد بالانتقام ،
كان حينئذ جلفا غليظ الطبع يشعر بالمرارة .. ثم دخل
بعد ذلك في البوليس ولم نعد إلى رؤيته لمدة طويلة . لكن
عندما مات أبوك بدأ يتردد علينا في المنزل من جديد ،
اصبح لا يتكلم عن الزواج مع اني كنت لا ازال شابة
جميلة ، حقيقة يا بني ! كنت جميلة .. رائعة الجمال !
وبالطبع أخذت علاقتنا تفتر ، لانه لم يحظ مني بأي
شيء ، لكنني كلما امتنعت عليه كان يطاردني أكثر حتى
اضطرت ذات يوم إلى طرده .. وبعد مرور أعوام
طويلة جاء يقول لي انه يستطيع ان يساعدك في الالتحاق
بالأمن القومي .. حسنا .. كنت حينئذ قد فقدت
كثيرا من نضرتي وكان من الواضح اني لم أعد أهمة .
وفي تلك السنوات كانت احوالنا قد ساءت .. مما
جعلني اقرر قبول هذه الخدمة ! (سكتة طويلة ،
مارى لم تفتها كلمة واحدة) ربما كنت تحب يا بني
أن تكون شيئا آخر ! ... ولكنك مازلت شابا ، واعتقد
انه يجب عليك أن تفعل دائما ما تريد ، المهم هو ان

تكون سعيدا في حياتك . (ينهض دانييل ويضغط على
يديها بتأثر ، أما هي فتلقى نظرة على شغلها ثم تنهض) .
سأذهب لرؤية دانييليتو الصغير ، عسى ألا يكون
راقدا في وضع غير مريح !
(تتجه إلى اليسار ثم تتوقف) انت لم تدخل لتراه اليوم !
هل تأتي ؟

دانييل : (واقفا) نعم يا أمي !

(يختلس نظرة إلى زوجته قبل ان يذهب لتناول الحافضة
ويلحق بأمه ، أما ماري فتنهض قائمة وهي تنظر اليهما) .

الجدة : ربما ترزقان له بأخت عما قريب ! .. هه ؟ (يتفادى
الزوجان باضطراب ان ينظر أحدهما إلى الآخر ،
دانييل يختسى ما بقى في كأسه ثم يمسك بذراع امه
في حنان) يابني !!

(يخرجان ، ترتدى ماري على المقعد الكبير وهي شبه
ذاهلة ، يسلط عليها الضوء لحظة ريثما تعود الحجرة
إلى الظلام ثم ينطفئ المصباح الذي كان يضيئها . ينهض
الدكتور ويأخذ في الاقتراب منها) .

الدكتور : هل تحبين أن ترزقي بطفل آخر ياسيدتي ؟

ماري : لا ! لا ! !

الدكتور : هل أنت متأكدة ؟

ماري : (وهي مازالت لا تنظر اليه ، ذاهلة) الآن . . . كيف
أرزق بطفل آخر ؟

الدكتور : تقولين هذا . . نظرا لحالة زوجك ؟

مارى : أريد أن أقول . . اننى لن أجروا ابدا بعد الآن على أن
أتى لهذا العالم بولد آخر . . فقد لا يغفر لى ذلك

الدكتور : ماهو الشعور الذى يثيره فيك زوجك الآن ياسيدة
بارنيس ؟

مارى : لا أدري ! . . أحيانا يبدو لى كأنه غريب . . وأحيانا
أخرى أشعر اننى اطفح بالحقد . . هذا غريب جدا . .
لكنه فى بعض اللحظات . .

الدكتور : ماذا ؟

مارى : أشعر برغبة قوية فى الضحك منه .

الدكتور : أما زلتما تحاولان الاتصال الجنسى ؟

مارى : لا !

الدكتور : أنت التى لا ترغب ، أم هو الذى لا يريد ؟

مارى : لم يعد هو يلمح إلى شىء من هذا ، وانا أفضل الوضع
هكذا .

الدكتور : اذن . . هل تشعرين بتقزز واشمئزاز منه الآن .

مارى : (وعليها دلائل نفاذ الصبر) من الصعب على أن أجيب
على ذلك . . فقد . . أحببته بطريقة عمياء . . والآن لا
أكاد اذوق طعم النوم ، أما هو فيغط فى نوم عميق
لأنه يشرب ، وفى بعض الليالى ، عندما أراه نائما بجانبى
أفكر . . لم يحدث أى شىء ، اننى أعبدته ! ! وتجتاحنى
رغبة عنيفة فى أن أوقظه واقبله . .

الدكتور : أحققت مرة هذه الرغبة ؟

مارى : ذات ليلة . . . أيقظته ، لكننى ابتعدت عنه في الحال
وقمت أجرى لرؤية الطفل ، زاعمة أنه قد خيل إلى
اننى اسمعه يبكى !

الدكتور : (بعد برهة قصيرة) هل ترين الآن أحلاما كثيرة
ياسيدتى ؟

مارى : كواييس .

الدكتور : اتذكرين بعضها ؟

مارى : نعم !

الدكتور : يمكنك أن تحكيها لى ؟

مارى : دعنى أتذكر . . آه ، كنت في المنزل ، جالسة على
المقعد . . .

(يشع ضوء على الحجرة ، ينسحب الدكتور بحذر الى
الناحية اليمنى المظلمة ويعود الى الجلوس في مقعده)
دخلت حماتى ومعها الطفل . . . ثم

(تدخل الجدة من الناحية اليمنى وهى تدفع أمامها
سرير الطفل ثم تتركه قرب التليفون ، مارى توجه
الكلام الى الجدة)
الجو بارد هنا !

الجدة : شأشاهد التليفزيون ولا أريد له أن يصحو !

مارى : (وهى تنهض) ربما أخذ بردا !

الجدة : تعطينه قرصا (تخرج وهى تترنم)

تناول قرص فينوس

واضحك من الألم التعيس . .

مارى : (تقرب من السرير ونحنى عليه) دانييليتا ! .. انها
بنى الصغيرة الحبيبة ، على أية حال ربما أخذت بردا
(تسوى عليها الاغطية) هكذا .. مغطاة بعناية ، نامى
ياصغيرتى .. نامى .

(يدخل دانييل من الباب المواجه للجمهور ويده كتاب ،
يبدو انه لا يراها ، أما هى فتعتدل) .
أهلا !

(بدون أن يجيب يذهب دانييل الى المكتبة ، يدس يده
في جيوبه الداخلية ويخرج مقصا كبيرا يتركه هناك ثم
لا يلبث ان يذهب للجلوس على المقعد للتليفون ويتصفح
الكتاب ، تقرب هى منه) .
دانييليتا ستأخذ بردا !

دانييل : (بدون أن ينظر اليها) أعطينى المقص !
(تذهب مارى الى المكتبة وتمسك به)

مارى : لماذا اشتريته ؟ (تحضره اليه)

دانييل : (يتناوله ويفتحه) لأفص صفحات الكتاب
(يتظاهر بانه يفعل ذلك)

مارى : انها مفتوحة فعلا !

دانييل : (مبتسما) لقد اشتريته .. لنقص به شعر البنت عندما
تكبر !

مارى : أتريد ان أشعل لك الضوء ؟ أنت لا ترى جيدا !

دانييل : نعم ، من فضلك .

(يأخذ في القراءة ، تقرب مارى من المصباح وتشد

الحبل المدلى منه فيضي ، تتلوى ماري وتصرخ وقد
سرى في جسمها التيار الكهربائي دون أن تستطيع نقض
الحبل من يدها)

مارى : دانييل .. اننى أتكهرب .. رحمة بي !
(دانييل يواصل القراءة) دانييل !! ! (يلتفت وينظر
اليها) أطفئ هذا النور حالا !
(ينهض دانييل بهدوء ويذهب اليها)
دانييل : لابد من قطع أصابعك .

مارى : ماذا ستفعل ؟
دانييل : لن تشعري بالألم ! (يقص وهي تصرخ ،
ينطق المصباح) لم ينبثق الدم !
مارى : (ناظرة الى اصابعها) لا !
(تتقهقر الى الخلف وهي تحملق فيه بعيون مفتوحة
جدا . ثم مد لها يده بالمقص المفتوح)
دانييل : خذى ، يجب عليك ان تحفظيه أنت !
مارى : لا !! !

(يتقدم منها دانييل وهي تحاول التخلص بسرعة)
دانييل : إذا تحركت فلن أستطيع اعطائه لك !
(يصوب اليها طعنة لا تصيبها) .
مارى : (تتأوه وهي تبتعد) رحمة بي !
دانييل : تعالى !
مارى : (تتقدم اليه مادة ذراعيها) اجرح ! اغرسه في جسمي
ان أردت !

(يتسم دانييل ، يذهب نحو جهاز التدفئة ويتناول
الفائف ثم يتوجه نحو سرير الطفل .

دانييل : ستحتاج اليه (يرفع غطاء السرير ويشرع المقص)

مارى : (تهرع اليه وتمسك به) لا ! لا تقربه !

دانييل : أنت تريدين طفلة ؟

مارى : (تجرى الى الناحية اليسرى وتنادى) يا جدة !

(تدخل الجدة في الحال)

دانييل : اشعلى الضوء يا أمى فأنا لا أرى جيداً .

الجدة : (وهى تتجه ناحية المصباح) افعل ما تريد يا بنى !

مارى : لا تلمس المصباح !

(تشغله الجدة بهدوء ثم تعود)

الجدة : أترى الآن ؟

دانييل : الضوء أحسن في الداخل .

(يدفع السرير أمامه بينما تمشى الجدة بجانبه)

الجدة : اهدأ أنت يا دانييليتو ، نم أنت بهدوء .. فسنعطيك
القرص .

(تأخذ في الترنم بينما يختفى الاثنان إلى الجانب الايسر
الايسر ومعها سرير الطفل المتحرك)

ما أسعد العالم عندما وصل

كساحر يهب السعادة ، فينوس

(يطفأ المصباح ويتلاشى الضوء السابق ، ثم لا يلبث

ان يترأيد النور العادى على يمين المسرح ، تنهض

مارى بتثاقل ثم تمضى لتجلس على المقعد المجاور
للدكتور ، سكتة) .

الدكتور : رأيت احلاما أخرى مشابهة ؟

مارى : طيلة ليال كثيرة .

الدكتور : هل تفكرين فيها بشكل دائم ؟

مارى : لا أستطيع أن افكر تقريبا في شىء آخر .

الدكتور : هل كان كتاب « تاريخ التعذيب » هو الذى يقرأه
في الحلم ؟

مارى : لا .

الدكتور : هل راجعت هذا الكتاب خلال تلك الأيام ؟

مارى : لقد اختفى من المنزل !

الدكتور : كيف هذا ؟

مارى : قرأه زوجى محاولا أن لا يثير انتباهى إلى ذلك وبعد
هذا لم أعد إلى رؤيته !

الدكتور : ربما يكون قد مزقه ؟

مارى : (تهز رأسها علامة النفي كأنها تشك في شىء) ذات
مرة ، كان يبدو لى كأنه يبحث عنه بدون أن يعثر
عليه .. فلا أنا ولا هو عدنا إلى الحديث عن هذا
الكتاب .

الدكتور : اذن .. لا تعرفين ما هو الكتاب الذى كان يقرأه
زوجك في الحلم !

مارى : بلى ، أعرفه .

الدكتور: آه .. ! تعرفينه ؟

مارى : انه احد هذه الكتب التى اشتراها اخيرا في علم النفس

الدكتور: (مستغرقا في التفكير) آه !!

مارى : بماذا تنصحنى يادكتور ؟

الدكتور: كنت أحب أن أسألك عما إذا كنت قد فكرت في حل ما .

مارى : فكرت في أشياء كثيرة .. الانفصال .. ربما لبعض الوقت .. العودة الى العمل في المدرسة ..

الدكتور: يسرنى أن تكونى قد فكرت في ذلك ، فالانفصال عنه .. والاختلاط باطفال آخرين قد يكون صحيا لك . ولو سمحت لى . استطيع أن أتحدث بنفسى إلى زوجك حتى أسهل عليك الأمر .

مارى : لم تفهم قصدى يادكتور .. فأنا أفكر في كل هذه الأشياء لكنها جميعا لا تبعث في نفسى أى أمل على الإطلاق ، أشعر اننى عاجزة عن بذل أى مجهود وأنه لا شهية لى لعمل أى شىء ! اننى أشعر بنوع من اللامبالاة المطلقة .. بكل شىء .

الدكتور: هذه اللامبالاة .. أتشمل ابنك أيضا ؟

مارى : (باكية) ابنى المسكين !! .. ليتة يغفر لى يوما ما جنيته عليه باحضاره إلى هذا العالم الشنيع !

الدكتور: ها أنت ترين انه مازال هناك شىء يثير فيك الأمل ، حسنا ، عليك اذن أن تستهينى بآلامك الخاصة

وتكافحى من أجل ولدك ، ولو فعلت هذا - أوكد
لك ياسيدة بارنيس - أنك ستظفرين بالنسيان ! !

مارى : لا يادكتور .. حتى ولا الطفل !

الدكتور : ما معنى هذا؟

مارى : هذا فظيع .. أحيانا .. ينخل إلى اننى أصبحت لا
أحب ابنى .

الدكتور : ماذا ؟

مارى : لا ، لانه ابنه ، أرى في وجهه الصغير منذ الآن ملامح
أبيه ، ملامح جلاد !

الدكتور : يجب عليك أن تقاومى هذه الأفكار الشريرة ..
فهذه الأشياء لا تورث في الدم .

مارى : (يائسة) أعرف هذا يادكتور .. أعرف هذا .

الدكتور : أن ولدك برىء ، ولديه أم تستطيع أن تعمل ما في
وسعها لتجعله يتفادى هذا المصير .. كى لا يصبح
في الغد جلادا آخر .

مارى : ألكى يصبح ضحية ؟

الدكتور : ساعدى نفسك .. ارجوك ففى هذا العالم هناك ما هو
أكثر من جلادين وضحايا .

مارى : ان لزوجى أما هو الآخر .. كان عليها أن تجعله
يتفادى هذا المصير ، فلماذا أظن أننى سأكون أما
أصلح منها ؟ لقد كنت اعتقد أن الحياة شىء رائع فتبين
لى انها شرك منصوب لنقع فيه .. ولا ينبغى علينا
أن نقلها لغيرنا .

الدكتور : الحياة يمكن ان تكون رائعة ، صدقني ! انضمي إلى جيش الذين يجاهدون من أجل ذلك . . انه أكثر عددا مما يظن الناس عادة ! . . لقد جئت لاستشارتي . وهذا معناه انك مازلت تثقين . . وتأملين ! . .

مارى : لا . اننى مثل الغريق الذى يلتفت إلى أبيه ويصرخ . . لكن الأب يقول له وهو على الشاطئ ! اسبح ! . . يجب أن تسبح . . ولم تعد لدى أية طاقة على المجهود . . (تنظر اليه بعيون يتجسم فيها العجز الحيوانى ، يتنهد الدكتور ويخرج دفتره الصغير ثم يشرع في كتابة « الوصفة ») .

الدكتور : لا بد لك من أن تلزمى الصبر ياسيدتى . . الآن عليك بتناول هذا الدواء ، وهو كما سترين - عظيم المفعول ، ثم عودى في الاسبوع القادم . . او حتى قبل ذلك ان رغبت ، عندما تريدان الكلام معى . (يعطيها ورقة الدواء) .

مارى : شكرا . (تحتفظ بها وتنهض) .

الدكتور : (يقوم ويشد على يديها مصافحا) سيدة بارنيس ، تشجعى !

مارى : شكرا . (تذهب إلى الناحية اليمنى ثم تلتفت إليه) سعدت مساء !

الدكتور : إلى اللقاء ياسيدتى .

تخرج مارى ، تعود السكرتيرة إلى الظهور وييدها قلم ودفتر (ماذا كان بوسعى أن أفعل ؟ عندما مددت يدي إليها بهذه « الوصفة » التعيسة التى كثيرا ما تخفى

حيرتنا وخرجنا - معشر الأطباء - شعرت بأن العالم كان هو المريض وأننى لا أستطيع شفاؤه ، بيد أنها أثناء ذلك كانت تغوص في أعماق البحر الذى تحدثت عنه . . تجذبها إلى قاعه هذه الأحلام الرهيبة التى تلاحقها . . وما أشقى هؤلاء الذين تتحول الأحلام عندهم إلى شيء أهم من الحياة نفسها .

السكرتيرة : أهم من الحياة نفسها .

الدكتور : لقد استطعت أن أعيد بناء الأحداث التى جرت بعد هذه الزيارة التى كانت آخر زياراتها لى ، فقد ذهبت ولم أعد لرويتها .

(تضاء مقدمة المسرح كلها ، يخرج كل من الدكتور والسكرتيرة من الجانب الأيمن ، لحظة سكوت تدخل بعدها مارى مرتدية معطفها من الناحية اليمنى وتعبّر المسرح ، عندما تقترب من الجانب الأيسر تواجه بـ « لوثيلا مارتى » داخلة في ثياب الحداد وتمر بجانبها دون ان تنظر إليها ، تتوقف مارى وتلفت إليها فتراها وهى تمضى) .

مارى : لوثيلا !

(تتوقف لوثيلا ولكنها لا تلتفت ولا تبدو عليها الدهشة . تقترب منها مارى دون أن تجرؤ على الكلام) ،

لوثيلا : (وهى تلتفت نصف التفاته ، لكن دون ان تنظر إليها) ماذا تريدن ؟

مارى : لقد قلت لى الحقيقة فرميتك بالكذب والافتراء . اغفرى لى !

لوثيلا : ان طلب الغفران لن يصلح شيئا ياسيدة بارنيس . .
فهو . . لا يمكن ان يعود للحياة !

مارى : (بدهشة) هل . . مات ؟

لوثيلا : (تنظر اليها بابتسامة شريرة) ألم يقل لك زوجك ذلك ؟
. . نعم ، يبدو ان قلبه قد خانه . . وهو في مقر رئاسة
المخابرات .

مارى : انا . . لم أكن أعرف .

لوثيلا : هذا لا يدهشنى ، طاب مساؤك !
(هم بالذهاب لكن مارى تمسك بها)

مارى : لا أريد ان تذهبي هكذا . . أنا لا أستطيع أن أعمل أى
شئ . . أى شئ . . لكنى . . أضرع اليك ان تسامحينى
لما فعله زوجى في زوجك .

لوثيلا : (بحق) أتريدى ان اسامحه هو ؟

مارى : لا ، لاننى ايضا لا أستطيع أن أسامحه ، وقد بقيت أنا
الآخرى بدون زوج . . بشكل آخر . . والآن يالوثيرا !
. . نتعذب سويا .

لوثيلا : سويا . . لا ، فعذابى هو ملكى وليس لك الحق في
مشاركتى اياه ، فأنت لم تمرى على مقر المخابرات . .
مثلى ، ولن تمرى على الاطلاق ، كما انهم لم يعذبوا
زوجك ، بل هو الذى يقوم بالتعذيب . . (تشير
إلى ملابسها) أنت لا تفهمين ابدا ما هو هذا الحداد .

مارى : سأحاول أن أفهمه يالوثيرا . . أنا . . لن أنسى مطلقا ،
أعدك بذلك !

(لوثيلا تستعد للذهاب لكن ماري تمسك بها مرة أخرى) .

رحمة بي ! .. دعيني أكن صديقتك .. سأتعلم كيف أتعذب إلى جانبك .. وتبادل العزاء .. لو أمكننا يا لوثيلا .. يابنتي !

(تتم بالركوع أمامها ولكن لوثيلا تمنعها بعصية) .

لوثيلا : هل جنت ؟ هيا .. انهضى ، الناس ينظرون إلينا . لا تبكى ، أما أنا فلم تعد لي دموع اسفحها .. ودموعك أصبحت مضحكة ، كل هذا لا فائدة منه الآن يا أستاذة ! .. وداعا ! (تمشى نحو الجهة اليمنى)

ماري : ألسنت أنت التي أرسلت لي الكتاب ؟ أليس كذلك ؟ (تلتفت إليها لوثيلا وترمقها دون أن تجيب) . ألسنت أنت ؟

لوثيلا : لا أدري عم تتحدثين (تتم بالخروج)

ماري : شكرا على الكتاب يا لوثيلا .

(تسمع لوثيلا هذه الكلمات وهي في طريقها للخروج من الناحية اليمنى ، ماري تخطو وراءها بضع خطوات بطيئة ثم تقف لتنظر إليها وهي تبتعد ، من الناحية اليسرى يدخل دانييل وهو يرتدى معطف مطر وقبعة ويقف خلف المقعد الحجري دون أن يحول نظره عنها ، .. تعود ماري لتستأنف سيرها ولكنها عندما تراه تتوقف مندهشة ، ثم تتقدم ببطء حتى تصل إلى جانب المقعد الحجري)

دانييل : عم كنت تتكلمين مع هذه المرأة ؟

- مارى : بوسعك أن تتصوره
- دانييل : لقد كنت على وشك أن تركعى امامها في عرض الشارع
- مارى : ولماذا لم تقترب وتفعل ذلك معى ؟
- دانييل : قلت لك انه يجب ألا تعودى لرويتها ، وان هذا خطير !
- مارى : ما هى أهمية هذا الآن . ؟
- (تجلس على المقعد الحجرى وتنكس رأسها)
- دانييل : لماذا ذهبت لرؤية الدكتور بالمى ؟
- مارى : هل تفرغت لمتابعى ؟
- دانييل : نعم !
- مارى : لماذا ؟
- (دانييل لا يجيب ، اما هى فتتأمل اليه وتدرك في الحال)
- أهذا ممكن ؟
- (تضحك) انت اذن . . تغار !
- دانييل : (وهو يجلس على الطرف الآخر من المقعد) حاولى ان تفهمينى !
- مارى : هذا شيء مضحك ! أثمة أهمية يمكن أن توليها الآن لموضوع رجولتك . . المفقودة ؟
- دانييل : اننى . . أحبك يا مارى !
- مارى : كلمات ميتة .
- دانييل : لا ، مادمننا أحياء ، اعدك اننى سأجد طريقة للخروج من هذا النفق ، اسمعى : اعرف أنه توجد وظائف شاغرة

في الخارج ، ولو طلبت احداها فان بارلوس سيستجيب لي ، انا متأكد . وهناك من الخارج - أقدم استقالي ، عندئذ لا يستطيعون منعي من ذلك ، أقسم لك أنني سأفعل هذا ! مازال باب التوبة مفتوحا امامي ، وسأبحث عنه . . وأعمل على ان أكون جديرا به ، فسأخبرني أنت الآن . . حتى ولو كنت لا أزال غير مستحق لذلك !

ماري : كيف يمكنني هذا ؟ وهذه الطفلة التي ترملت ، كيف يمكنها ذلك ؟ أما هو . . فلم يعد من الممكن ان يغفر لك . . لا نكم قتلتموه ! (ينكس دانييل رأسه) وهذه مسألة أخرى اخفيها عني .

دانييل : لم أرد أن أخبرك بها . . حتى لا تتعذبي بأكثر مما عانيت ماري : هذه أيضا كلمات فارغة .

دانييل : لا يا ماري !

ماري : وكل هذا اللحم المسكين الذي مزقته بيدك خلال سنوات كاملة . . ماذا تقول عنه ؟ تتكلم فقط عما أعانيه من عذاب قليل أو كثير ! شيء يبعث على الضحك ! انني أشعر بآلام هذا اللحم في كل ساعة من عمري ، لهذا ذهبت لاستشارة الدكتور بالمى ، ، لا استطيع ان افكر في شيء آخر .

دانييل : ولا أنا يا ماري !

ماري : خصوصا في الليل ، هه ؟

(يأخذ الضوء في اذرة المكتب العلوي)

دانييل : في الليل ؟

مارى : في الليل .. عندما أحاول ان أتصور من هو الذى يمكن ان يكون في هذه اللحظات بين أنيابك .. ويخيل الى أنه .. أنا نفسى .. لكنك لا تتصور أى شىء .. أنت تفعل كل ذلك ، لماذا كان عليك أن تذهب كل هذه الليالى لتقوم بواجبات عملك كجزار ؟ .. قل لى : بماذا تشعر عندما تجعلهم يصرخون ؟

دانييل : لكى أتخلص من هذا أنا مجبر على الذهاب ..

مارى : ألا تشعر انه هو لحمك أنت الذى يصرخ ؟

دانييل : (وهو ينظر حواليه في كل اتجاه) اخفضى صوتك ! الناس يمرون !

مارى : ثم ماذا ؟

دانييل : (وهو يمعن النظر الى الجانب الأيسر) لا تتحركى ! (يضغط على يديها) انظرى بمواربة الى هذا .

مارى : لأرى احدا .

دانييل : لقد انعطفت لتوه الى الشارع الرئيسى ، أعتقد أنه مارسان (تنهد مارى بكرب شديد ، يدخل المفتش باولوس الى المكتب من الباب المواجه ويظل واقفا امام المنضدة وقد غمره الضوء عاقدا ذراعيه ومستغرقا في التفكير) يجب علينا ان نخرج من سوريليا يا مارى .

مارى : الى حيث ذهبنا ، سيكون في انتظارنا مفتش آخر مثل باولوس .

(يسمع من بعيد موسيقى لياى شوبن ، تداعب مارى حفاة المقعد خفية تم تنفجر فجأة في البكاء ، لحظة صمت)

دانييل : نعم يامارى .. كنا هنا في نفس هذا المكان ..
و كنت حينئذ تبكين ايضا ، لم استطع ان اجفف هذه
الدموع .. كل شيء اصبح كذبة ضخمة .. لكن
هذا .. على الأقل كان حقيقة .. كان ذلك حقيقة !

مارى : (وهى تنهض) هيا بنا !
(تتجه إلى الناحية الجانبية وهو يتبعها ، ثم لا تلبث
ان تلتفت وتنظر الى المقعد وهو يفعل ذلك أيضا ،
يخرجان ، يظل المفتش بلا حراك في المكتب الذى
يغمره الضوء ، وإلى الناحية اليمنى نرى الدكتور
وسكرتيه وقد عاد اليهما الضوء ، مازال صوت
البيانوين)

الدكتور : (ممليا) يعرف القارئ من قبل أن مرضى قصتي الأولى
كانوا يعيشون جيرانا في المنزل لهذين الزوجين ..
وكانوا اناسا يتمتعون بمركز ممتاز بلا أولاد ،
وقد جاءوا لاستشارتى حول جملة أعراض تدل
بوضوح على الملل الذى اعتراهم من حياتهم ، مثل
الأرق وفقدان الشهية والأشواق المبهمة .. والاجهاد
المتبادل .. وقد اقترحوا هم أنفسهم الإقامة في المصححة
لبعض الوقت ، وقبلت فكرتهم ، كنت أفكر انه ربما
يؤدى التغيير الطارئ على طريقة حياتهم الى نوع من
التحسن الصحى .

السكرتيرة : الصحى .

الدكتور : لكننا وقد وصلنا في الحكاية إلى هذه النقطة نتساءل :
ألا يكون بعض القراء لم يطلع على القصة الأولى ؟ .

أنا نفسي كثيرا ما ابدأ قراءة كتاب ما من أى جزء يروق لى . . أو أشعر نحوه بجاذبية أكثر دون أن أتقيد بالبداية ، ولهذا ينبغي على أن اذكر القارئ بان هذه القصة الحالية لا تستعصى ابدا على الفهم فى رأى بدون ربطها بالقصة السابقة ، وربما كانا فى نهاية الأمر يكونان تاريخا واحدا . . والآن يمكننى أن أحكى ما تبقى من هذه الحالة التى نحن بصدددها .

قرر مريضى أن يتكلم للمرة الثانية مع رئيسه ، وكان هذا بداية النهاية .

(ينحسر الضوء عن مقدمة المسرح حيث يشمل الظلام المقعد الحجرى وعيادة الطبيب ، يخرج الدكتور وسكرتيرته ، يتراجع المفتش باولوس إلى الناحية اليسرى ثم يقف منتظرا . يصمت البيانو فجأة ، يصعد دانييل درجات السلم الأيسر ثم يخلع قبعته) .

دانييل : مساء الخير ياسيادة الرئيس !

باولوس : تريد أن تتكلم معى ؟

دانييل : لو أمكن أن تعطينى من وقتك بضع دقائق . .

باولوس : اجلس !

(يترك دانييل قبعته على المشجب ثم يقترب من الكرسي ولكنه يظل واقفا) أنا مللت الجلوس ، ماذا تريد ؟

دانييل : كنت أحب أن التمس منك فضلا كبيرا ياسيادة الرئيس (يجلس)

باولوس : الاجازة ؟

دانييل : (ضاحكا) لا . لا . هذا قد فات ، انك قد رأيت الموقف بوضوح ، كانت احدى لحظات الضعف التي يمر بها أى انسان ، لكننى الآن أشعر بأنى قد عدت إلى حالتى الطبيعية (بنوع من التبذل) لا أظن ان سلوكى هذه الأيام يدع مجالا للشكوى !

باولوس : فعلا .. أنت تمارس عملك على أحسن وجه (سكتة قصيرة) .

دانييل : (باسم) هل أحظى اذن بثقتك ياسيادة الرئيس |

باولوس : (باسم) دائما كنت تحظى بها :

دانييل : لولا هذا .. لم أجروا على أن افضى لك برغبتي

باولوس : وما هى ؟

دانييل : لا أخفى عليك أننى قلق من أجل زوجتى .. فقد كانت تجهل اشياء كثيرة ، أما الآن وقد تكشفت لها فهى مضطربة وعصبية ! .. مريضة ، لا يمكن أن نطلب منها فجأة أن تفهم اشياء كان من اللازم أن تمر بمرحلة اعداد طويل لها .

باولوس : هذا بديهي .

دانييل : وعلى انا تهديتها ، واعتقد اننى سأحقق ذلك . لكن . :

ليس هنا ، قد يكون من المناسب ان ننقلها إلى جو آخر ، ان نجعلها تشعر بأننا نحن الاثنين بعيدان عما يقلقهما .. فكرت أنه يمكننى ان أشغل بفعالية ممتازة بعض وظائف الخدمة الخارجية .. لو كنت بمفردى لم أطلب هذا ، لكننى مسئول على أى حال عن

منزلى وأريد أن أرعاه جيدا ، هل يمكن لسيادتك أن تساعدنى مرة أخرى ؟ لا يهمنى أى بلد، أى مكان أستطيع أن أكون نافعا فيه .

باولوس : (وهو يمعن فيه النظر) انه في سوريا .. حيث يمكنك أن تكون أعظم نفعا يابنى ! .

دانييل : عندما تكون وراء ظهري زوجة مضطربة ربما لا أحصل جيدا ياسيادة المفتش .

باولوس : ان تحصيلك هذه الأيام كان ممتازا .

دانييل : (بعصبية) حتى لو كان الأمر هكذا ..

باولوس : سأقولها لك بطريقة أخرى ، هذا النقل الذى تطلبه سيثير كثيرا من الدهشة .. ومن يدرى .. ربما أثار الشكوك .. وهذا لا يلائمك الآن ، كما انه لا يليق بى اقتراح شيء مثل هذا في غير وقته المناسب .

دانييل : ولو قدمت انا الالتماس مباشرة ؟

باولوس : عندئذ يجب على وضع التقرير ، ولا أعتقد انه سيكون لصالحك .

دانييل : (مستاء) لماذا ؟

(يدور من خلف ظهره ويضع يديه على كتفه) ليس من أجل زوجتك .. أليس كذلك ؟

دانييل : لقد شرحت لك .

باولوس : قل انه من أجل الاثنين ! (يعتدل ويذهب الى المنضدة)

حسنا .. لقد جئت بمسرحية معدة جيدا ، لكن .. ها أنت قد عرفت اجابتي . الى اللقاء مساء !

(!يجلس ويأخذ في مراجعة بعض الاوراق ، سكتة طويلة
فجأة تنبعث صرخات من خلف الباب المواجه
للجمهور ، آهات مخنوقة لا تكاد تسمع ، باولوس
لا تهتز فيه شعره ، اما دانييل فيقشعر بدنه)

دانييل : أنا لن اعود هذه الليلة .

باولوس : ماذا تقول ؟

دانييل : لن أعود للتعذيب (يترك باولوس الأوراق على المنضدة
بضربة جافة) عليك ان ترسلنى للخارج ان لم ترد أن
تسحب عنى حمايتك ، أما اذا كنت تفضل ان تعتبرنى
متهربا فضعنى في السجن !

باولوس : أو قد وصلت الى هذا الحد ؟

دانييل : نعم !

باولوس : بسبب عملك ؟

دانييل : لا تسمه عملا .

باولوس : ما هو اذن ؟

دانييل : اجرام

باولوس : (ناظرا الى الباب المواجه) لحسن الحظ ، نحن وحدنا
ومع ذلك سأبذل مجهودا آخر لصالحك والآن اسمع
يا أحمق : أنا لم أخترع التعذيب : . . فعندما جئت
أنا وانت في هذا العالم كان يوجد فيه التعذيب كما توجد
فيه الآلام والموت ، ربما كان شيئا همجيا . . ولكننا
نعيش في غابة ، ولهذا فهى همجية عادلة !

دانييل : ضد كائنات بشرية

باولوس : ما أشد قلقك من أجل هذه الكائنات البشرية ! ! لقد

رأيتهم هنا . . معظمهم لا يساوى شيئا على الإطلاق ،
وليس هناك في التاريخ اى تقدم لم يقم على حساب جرائم
لا تحصى .

(تسمع صرخة ، كلاهما ينظر الى الباب)

دانييل : أتغنى . . شهداء لا يحصون ؟
باولوس : يا لها من حماقة ! كل الاعمال العظيمة لها شهداؤها كما
ان لها ايضا جلاديهها !

دانييل : ان هؤلاء الآخرين هم الذين يدنسونها .
باولوس : (يهز رأسه بحزن) أنت مثل الطفل الذى يرى العالم على
انه حكاية الطيبين والاشرار ، لكن . . كثيرا ما يكون
الجلاد شهيدا قد استطاع ان يتغلب على الصعوبات
ويعيش ، بينما يكون الشهيد جلادا لم يمت في الوقت
المناسب ، كما يمكن ان يحدث هذا غدا لأى واحد
منا مثلا . . اى واحد منا . . ! شهداء ، جلادون . .
كلمات للدعاية ، نكنتنا نحن الآن وجدنا وسأقول لك
الحقيقة (صرخة أخرى ينظر باولوس إلى الباب) من
الجوهرى ان يكون الحق في صفتنا ، عندما يحدث هذا
لا تكون للوسائل المستعملة أية أهمية ؟

دانييل : ولو لم يكن كل الحق في جانبنا ؟
باولوس : (هامسا) لا يمكن أن يكون كل الحق في جانب واحد
أبدا . . ثم ماذا ؟ . . نحن محتاجون لاستخدام كل
الأسلحة . فالعدو يستخدمها ايضا ، انها أسلحة طبيعية
يا دانييل هناك من يمرتون في مخالب الوحوش ، وهناك
أشقياء تطحنهم عجالات الناقلات الضخمة ، (صرخة
أخرى ، يرفع باولوس صوته) وآخرون يصرخون

طول الليل خلال شهور لأن السرطان يأكلهم من الداخل
لن تستطيع أن تقضى على الألم من هذا العالم ، هل تركه
إذن في يد الأقدار ؟ أم تستولى عليه وتستخدمه ؟ .

دانييل : ولماذا لا نعلن هذا ؟ لماذا لا نجعل التعذيب في بنود
قانون العقوبات ؟

باولوس : ان الناس يفكرون بطريقة صبيانية مستعصية ، ولن يفهموا هذا .

دانييل : لا . ولكنهم بدأوا يدركون حقيقة الأمر ، فالناس قد
قبلوا هذا في عصور أخرى عندما كانوا أكثر صبيانية
من اليوم . الآن يجب اخفاء التعذيب ووسائله كالابن
المشوّه ، ولكي تدافع عن هذه الوسائل فأنت مضطر لأن
تغلق الأبواب وتتكلم بصوت خفيض أما أمام الجمهور
فأنت مرغم على أن تتظاهر باللطف ورقة الجانب ، تتظاهر
بأنك رجل دمث يحب الآخرين . . يا لها من خيبة ياسيد
باولوس ، إنك رجل مزيف إنها كذبة تحمل في
طياتها دلائل الادانة . (صرخات) .

باولوس : (مغيظا) أية ادانة ؟ .

دانييل : ادانة المداراة ، مثل المجنون الذي يريد أن يكون الحق
معه ، ولكنه ليس من الجنون بالدرجة التي يستطيع فيها
أن يعلن ذلك ، هه ؟ لا يهم ، مادام ضحاياك سيدفعون
الثمن غاليا ، ولكن صرخاتهم خير عوض عما لا تجرو
على التفوه به .

(لحظة صمت ، ينظران إلى الباب)

باولوس : يالك من أبله مسكين ! انك لا ترسم صورتى بهذه
الكلمات ، ولكن صورتك أنت ، فعندما تجيء لتقول

لى هذه الاشياء تظن انك بلغت المدى من الشجاعة ،
ولكنك تعرف اننا وحدنا واننى لا أحب ان الحق
بك الضرر .

(ينهض غاضبا) انت الذى لا يجروا على فتح فمه
عندما يخرج من هنا . أنت الذى سيلزم الصمت !

(يدور حول المنضدة ، تنبث صرخة أخرى ، يميل
عليه ليحدثه في أذنه) لقد وقعت ولا مفر أمامك ،
فرجل المخابرات يظل هكذا حتى الموت (يتجول في
المكتب) وعليك ان تشكر لى اننى مازلت أبقي عليك
وأبغى معونتك ، سأنقذك بالرغم منك ، لاننى اخترت
مركز القوة ! أفهمهم ؟ بين ان افترس أو أكون أنا الفريسة
اخترت الوضع الأول ، وجئت بك معى . (يقترب
منه ويضع يده على كاهله) ستطول أزمته يافتى ،
ولكن . . . ربما لا يزال في استطاعتك تجاوزها ، لا تعد
هذه الليلة ، استرح ! غدا ستكون قد غيرت رأيك !

دانييل : لن أعود غدا أيضا ياسيد باولوس !

باولوس : (وقد احمر وجهه من الغضب) أعطنى « المسدس »
والبطاقة التى تحملها في الحال ! (يقف دانييل مرتعشا)
هيا ! (يخرجهما دانييل من جيبه ويضعهما على المنضدة)

دانييل : ها هما !

(يذهب باولوس إلى التليفون ، يرفع السماعة ويشعر
في طلب رقم ما) هل هذه هى المرة الأولى ياسيد
باولوس -

باولوس : ماذا تقول ؟

دانييل : هل هذه هي المرة الأولى التي سيترك فيها رجل مخابرات عمله قبل أن يموت ؟

باولوس : (يضع السماعة بجدة) جعلتني أفقد هدوئي ! ، لكن .. لن أمكنك من تنفيذ مآربك . (صرخات . من الأفضل أن تعيد التفكير في الأمر ، وإذا غيرت رأيك فعد غدا . (يتمشى في الحجرة ، صرخات) .

دانييل : ألم تدرك اني لم أعد أستطيع ذلك ؟ ان ما يحدث هنا لا يحطم فقط من يقع عليهم ، بل ومن يقومون به (صرخات)

باولوس : فقط : الاشكال الهزيلة مثلك ! (صرخات) أما البقية فما زلنا أصحاء معافين (صرخات . يتقدم باولوس إلى الباب ويفتحه بجدة (اذهبوا إلى الحجرة الأخرى ! نعم ! هذا ما قلته لكم .

(يغلق الباب بضربة واحدة ثم يعود ، دانييل يحرق فيه النظر) .

دانييل : (بعد هنيهة) ان دالتون مصاب بصداع دائم ! أتعرف منذ متى ؟

باولوس : لا .

دانييل : بعد قليل مما فعله في ذلك المعتقل الذي كان يسمى روضيرو

باولوس : ثم ماذا ؟

دانييل : فولسكى يعانى من آلام المعدة وهو دائما محروور المزاج .
أما مارسان فهو عرييد ، أشهى ما يقدم اليه امرأة مذعورة
يلتهم جسدها ، لوينى . . . من الافضل ان لا أتحدث
عنه ! . . وبوثر ؟ . . القوى . . الرصين . . هذا
الجلف المسمى بوثر ! . . هل كنت تعرف أنه يصرخ
ويقوم مفزوعا بالليل ؟

(أثناء هذه الكلمات يجلس باولوس مكتئبا على
الأريكة)

باولوس : لا جديد علىّ في كل هذا .

دانييل : (بابتسامة ظافرة) قلت لى من قبل انهم أصحاء . . .
معافين . .

باولوس : كنت أكذب عليك .

دانييل : (يتأمل اوقف لحظة ثم يتنهد بعمق) ارسلنى للخدمة
في الخارج ! . . لا أريد أن أخلق هنا أية صراعات
.. يمكن تفاديها .

باولوس : ستظل هنا .

دانييل : (يتقدم في اتجاهه خطوة هل تريد ان تدفعنى إلى
الانفجار ؟ ها أنت تعترف بان الحق معى !

باولوس : كلا . . اذا كان زملاؤك مرضى فكل العالم مريض .
في الشارع يمكنك أن ترى أى رجل شريف ورب
أسرة متخبطا في رذائله ، يعانى من قرحة في المعدة
ويصحو صارخا بالليل ، لا بد ان لديه سببا لذلك لو
كان يعرفه ! . . ربما كان يفكر في دخله الذى لا

يغطي نفقاته . او يتحدث بانه ايضا مسئول عن كل ما
يجرى هنا للدفاع عنه ، خلاصة الامر . . انه هو نفس
العالم . . سواء هنا في الداخل أو هناك في الخارج ، ولهذا
فمن الوهم ان يظن بعض الخياليين انه لكي نقوم
بعملنا يجب علينا ان نعثر على رجال مختلفين أو أن
نصبر هنا من حديد ! . . انظر الى : لقد كنت واحدا
من هؤلاء الواهمين ، وكل واحد من رفاقك كان
بالنسبة لي خيبة أمل . . لانني كنت أثق فيك ، كنت
أعتقد انك تختلف عنهم ، مثلي ، كان يجب عليك ان
تظل سليما معافي ! . . حسنا ! . . على أية حال ،
ستمارس عملك مريضا مثلهم ، لقد تعلمت أن أكون
وحدى منذ سنوات طويلة .

دانييل : منذ متى ياسيد باولوس ؟

باولوس : ماذا تعني ؟

دانييل : لماذا اخترت هذا العمل ؟

باولوس : لماذا اخترت . . ؟ عن أى شيء تتكلم ؟

دانييل : هناك من يصاب بالمرض هنا وهو يعمل ، وهناك من

يلتحق بالعمل وهو مريض ، ولقد كنت مريضا قبل
ان تنخرط في هذا السلك .

باولوس : أنا . . بأى شيء ؟

دانييل : بالحق ! (لحظة صمت)

باولوس : (بدون ان ينظر اليه) لقد جنت يابني !

دانييل : (بعد هنيهة) أمي تقرئك السلام !

(يرفع باولوس رأسه ويحدق فيه النظر)

هل تريد أن ابلغها سلامك مثل المعتاد .

باولوس : لو كان هذا يلهيك . .

دانييل : انك انت الذى لا تنسى هذا على الاطلاق ! ياله من

شئ طريف ، لقد كان من المنطقى ان تتخلى عن هذه

المجاملات بعد كل هذا الوقت الطويل . . أيستحيل

عليك ان تنسى إلى هذا الحد انها رفضتك ؟

باولوس : (ينظر اليه دهشا ثم يقوم) اسكت ! !

دانييل : لقد داخلنى الشك بأنك أبى الحقيقى ، وقد ناديتنى منذ

قليل بكلمة يابنى ، لا تعد للنطق بها مرة أخرى ! الآن

افهمك بعمق ، فأنت لم تتخلّ في أية لحظة على الاطلاق

عن حقدك على هذا الرجل الذى كان أبى . . (يضحك

بعصبية) الا يثير هذا ضحكك انت ؟ . . . الرجل

القوى ليس الا لعبة ؟ . . السياسى الذى لا يتطرق اليه

الضعف يخفى وراءه انسانا متهالكا مخذولا . . من

يومها لا يفتأ عن الانتقام من هذا الجرح ! خاصة من

ابن غريمه ، الذى كان من الممكن ان يصير ابنه ،

ولكنه جاء من رجل آخر .

(يقترب منه باولوس ملوحا بقبضة يده)

باولوس : (يصيح به وقد وصل إلى جانبه) اسكت ! !

دانييل : (يصيح منفعلًا هو الآخر) ساعدتني على الالتحاق

بالخدمة كى تحطمنى ، جئت بى إلى المخابرات كى

تقضى على . . اهنأ . . فها أنت قد حققت غرضك . الولد

يدفع دين أبيه ، وبأعلى ثمن ! بالثمن الذى كنت تريد
ان يدفعه أبى وقضيت علىّ بأن أدفعه أنا . . لأنك لم تكن
تريد الا هذا ، أليس كذلك ؟ عندما أمرتنى أن أشوه
مارتنى المسكين كان هذا هو ما ترمى اليه !

باولوس : (مرتعدا) ماذا ؟

دانييل : اهنا . . هاأنذا مثله ، ها أنذا لا يمكننى ان أعاشر زوجتى
الا مثل اخيها .

(باولوس يغمض عينيه وقد تملكه اضطراب غريب)
لكننى مازلت رجلا !

(يجذبه باولوس بعنف من مجمع ياقته بطريقة مفاجئة)

باولوس : ألن تسكت ؟

دانييل : (وهو يتأرجح في يديه) الرجولة لا تسكت . . الرجولة
حمقاء ، أشعر بأننى أعود للحياة . . هذا المخلوق
التافه يأتى ليقول لك ! انك نذل ! !

(يقذفه باولوس على الأريكة بغیظ ، يتبادلان النظرات
شررا وهما يلهثان ، يرن جرس التليفون ، يتجه
باولوس إلى المنضدة ويتناوله) .

باولوس : « آلو » . . تحت أمرك ياسيادة الرئيس . . انه . .
ليس لدينا الآن الا رجال قليلون . . لكنهم يعملون
ليلا ونهارا . . أوكد لك ياسيادة . . أعطنى أربعة
أيام أكثر . . أعد سيادتك بانه خلال أربعة أيام سننهى
التحقيقات . . حسنا ، سنأخذ هذا في الاعتبار . . .
نحن رهن اشارتك !

(يضع السماعه ويظل لحظة مستغرقا في التفكير ، دانييل يقوم واقفا) .

دانييل : ليس هو الحق فقط ، بل الخوف كذلك ، أنت أيضا قد وقعت في الشرك . وداعا !
(يتأهب لتناول قبعته) .

باولوس : دانييل !

(يلتفت اليه دانييل بينما يتقدم نحوه باولوس بضع خطوات) لا أريد أن أنكر أشياء ربما كانت صحيحة ، ولن أهبط إلى مستوى الكذب عليك ، انا أعرف بالرغم من كل شيء اني أقوم بعملى لأسباب أنبل بكثير مما يمكن ان يعملها كل واحد من هذه الحثالة التي تعمل هنا في باطنه ! هذا هو مصدر قوتي ، ولا أريد أن أعرف شيئا آخر . . أنت رجل مخبرات ولن نتخلى عن هذه الصفة .

(ياتقط المسدس وبطاقة الشخصية من فوق المنضدة ، يضع بنفسه المسدس في جيب دانييل الداخلى) .

احتفظ بمسدسك وبطاقتك ، (يضع له البطاقة في جيب معطف المطر) ومن الممكن أن يكون لك الحق في شيء واحد : ربما كان من المناسب ان نرسلك إلى الخارج ! دائما أشعر بضغف نحوك مع انك تعتقد العكس ! ربما تستطيع أن تجمع هناك في الخارج شتات قواك . . فبعد الذي قلته لى على أن أعترف لك بصراحة أن وجودك هنا قد أصبح لا يسرى ، سأعيد

النظري الأمر ، لكن لابد من انتظار اللحظة المناسبة ! .
وحتى حين هذه اللحظة عليك أن تستمر في مزاوله
عملك . يعني . . إلى اللقاء غدا مساء . . . يمكنك
أن تنسحب ! (دانييل وقد استمع اليه بابتسامة الظافر
يتجه إلى المشجب ويتناول قبعته) .

دانييل : سأعتمد على كلمتك ياسيد باولوس !

(يضع قبعته ويهبط درجات السلم الأيسر بينما يظل
باولوس مثبتا نظرة عليه بايماءة غامضة لا يمكن النفاذ
اليها . . ثم لا يلبث ان يخرج بقامة مرفوعة وخطوات
نشيطة من الباب المواجه للجمهور . في نفس هذه
اللحظات يتلاشى الضوء من المكتب ويغمر منزل
عائلة بارنيس . حيث نرى على المقعد المجاور للتليفون
مارى جالسة بذهول ، تمر بضع لحظات قبل أن تدخل
الجدة من اليسار وهي تدفع امامها سرير الطفل وتتركه
بجانب التليفون) .

مارى : ألا يبرد الطفل هنا ؟

الجدة : هه ؟ . . أنه ملفوف في أغطيته ، وأنت تعرفين اني
كثيرا ما أحضره هنا اذ لا أريد أن يصحو على ضوء
التليفزيون (تخرج الجددة من حيث أنت وهي تترنم بلحن
أغنية فينوس بدون الكلمات ، تنهض مارى عقب هذا
الحوار بنوع من الحيرة الطفيفة التي لا تدرك لها
كنها ، أولا تتذكر مبعثها ثم تنظر اليها بامعان وهي
تخرج ، بعد هذا تذهب إلى المهد وتنحنى عليه لترى
الطفل) .

مارى : يا ملاكى الصغير .. ألا تشعر باليرد يا طفلى الحبيب ؟
تدثره بالاغطية (هكذا ، مغطى جيدا ! ثم يابنى ! انت
لا ذنب لك في شيء .. أنت ولدى ، ولدى أنا فقط ..
أملك تحبك ، لانك ولدها وحدها .. وحدها فقط ..
(تعتدل وهي قلقة مرة أخرى لهذه الذكرى المبهمة ..
تنظر إلى ناحية اليسار ثم تعيد النظر إلى السرير باضطراب
فجأة تلتفت إلى الناحية المواجهة للمشاهد وتظل هكذا
لحظة ترقب ، يدخل دانييل من نفس هذا الاتجاه فتند
عنها شهقة دهشة يسيرة ، ينظر اليها دانييل وهو ما
ما يزال واقفا بالباب بعيون يلتمع فيها بريق يوحى
بامكانية التحرر)

دانييل : أهلا !

مارى : (مغممة) أهلا .

(يذهب دانييل إلى دولاب الكتب ويخرج مسدسه ليضعه
في مكانه المعتاد دون أن يكف عن النظر اليها ، اما
هي فتراجع خطوة إلى الوراء)

دانييل : هل هو نائم ؟

مارى : نعم .

(يخطو بضع خطوات نحو المهد فتمد ذراعها بطريقة
غريزية لتحول بينه وبين التقدم) لا نجعله يصحو !

دانييل : (يتوقف ويتكلم بصوت خفيض) مارى ! .. كان هذا
يبدو مستحيلا .. لكننى سأحقق هدفي ، ربما كان
أمامنا مستقبل لا يزال ينتظرنا !

مارى : (باضطراب) لا أفهم ما تعنيه !

دانييل : لقد تكلمت مع باولوس .

(يعبر المكان لينصت إلى ما يجرى وراء الباب الأيسر
ثم يقول وهو يشير إلى خارجه) .
أهى ترى التلفزيون الآن ؟

مارى : أجل .

دانييل : كان عندك الحق يا مارى ، فبالجين لم أكن أستطيع
مطلقاً أن أقطع هذه العقدة ، لكننى اليوم كنت أشعر
باليأس إلى الحد الذى جعلنى أعثر على كل شجاعتى . .
وسمع منى هذا النذل كل ما كنت أريد أن أقوله ، كل
شئ . . وفي نهاية الأمر ، وعد بايفادى للخدمة في
الخارج .

مارى : (وهى تنعم فيه النظر) ألن تضطر للعودة اليهم ؟

دانييل : هذه الليلة لا ، فقد أنكرت ذلك بشدة ، أما غدا . .
فنعم !

(تنكس مارى رأسها ويقترب هو منها) نعم يا مارى . .
انه ثمن غال . . ومريع لكننى كنت ادفعه
كل هذه الايام للاشئ . . أما الآن . . فقد
اضطر للخضوع لى . . انها مسألة أيام . .
وسأحاول أن لا أرتكب فيها الا أخف . . الأضرار
الممكنة . . ولن يجرؤ هو على أن يلومنى في ذلك . .
(يتف بجانبها) مارى ! ياله من تحرر ! كان يجب
على أن اصيح في وجهه بالحقيقة كى أصبح رجلاً مرة

أخرى ، أنا الآن متأكد ، لقد لاحظت ذلك ، فلو ساعدتني . لقطعنا كل العقد .

(يضمها اليه من خصرها ، اما هي فترتجف ، يهمس اليها في أذنها بانفعال عاطفي حار) لقد لاحظت ذلك يامارى ، شعرت بهذا وأنا مازلت هناك ، والآن ، عندما رأيته أدركت اننا على شفا معجزة خارقة !
(يربت على ذراعها) يازوجتى الصابرة . . المتفانية !
(يهم بتقبيلها ولكنها تبعد رأسها عنه وقد اتسعت عيناها بشدة) تعالى . (يحاول أن يقودها إلى الناحية اليسرى ولكنها تتملص منه ، وتبتعد عنه بضع خطوات وهي تلهث) .

مارى : ماذا تريد ؟

دانييل : (يقترب منها باسم) امى لاهية في التلفزيون . . والطفل نائم . . فنحن كما لو كنا وحدنا (يمسك بيديها) كل شيء يمكن أن يبدأ اليوم من جديد لو أردت يا مارى . . لقد أظهرت كثيرا من التفهم والكرم معي . . فكوني على عهدك يا حبيبتي ! . . أنا الآن محتاج اليك ، واحبك أكثر من أى وقت مضى .

مارى : (تتخلص منه وتتقهقر ناحية المهد) لا !

دانييل : مارى ! . . انه الخلاص الذى قد بدأ ، أنا زوجك أنا دانييل حبيبك !

مارى : لا . لا . أنت شخص آخر . . آخر

دانييل : ماذا ؟

- مارى : انت شخص آخر .
- دانييل : (وهو يذهب نحوها) كل منا بحاجة إلى الآخر .
- مارى : لا تقترب من الولد .
- دانييل : (وهو بجانبها) انه ولدى ! (يهزها من ذراعها)
وانت زوجتى
- مارى : دعنى . دعنى ! (تصرخ ، ثم تتمكن من تخليص
نفسها منه)
- دانييل : مارى ! (مارى تأخذ الطفل من مهدده وتحتضنه وهى
ترتعش) ماذا تفعلين ؟ اتركى الولد !
(تنهقه مارى إلى الخلف وهى تتشبث بالطفل فى
حضانها)
- مارى : لا تقترب ! .. هذا ولدى ، ولدى أنا ، ولن
تمسه بسوء .
- دانييل : ماذا جرى لك ؟
- (عندما تصل إلى جاب دولاب الكتب تتناول المسدس
بسرعة ، وبينما تضغط الطفل على صدرها تصوبه وهى
تقول)
- مارى : لا تقترب !
- دانييل : ماذا تفعلين ؟ هاتى هذا .
- (يتقدم نحوها خطوة فتصوب اليه المسدس وتهرب
بسرعة مارة من بين الأريكة والمنضدة كى تدور فى
الحجرة وتأخذ موقعها فى مقدمة المسرح من الجانب
الأيسر وهى تقول)

مارى : ليتنى لم أعرفك أبدا ، نم أنت يابنى ! فأملك ستدافع
عنك ، ليتنى لم أكن أخرجتك إلى الوجود ! اغفر
لى هذا ياملاكى الصغير ، أملك ستحميك .. لن
يفعل فينا أى شىء .. أى شىء .. وانت .. ستلعب
مع كل اطفال العالم !

دانييل : مارى ! اهدئى (يذهب نحوها) وهاتى هذا المسدس .
مارى : (تشرعه وهى تصيح) لا تتقدم خطوة واحدة !

(يتوقف دانييل ، يخفت الضوء من الحجرة ويتزايد
على مقدمة المسرح ، يدخل الدكتور والسكرتيرة
من الناحية اليمنى ، أما مارى ودانييل فيظلان ثابتين
بلا حراك على الاطلاق في وضعهما وتعبيرات وجههما ،
الدكتور يأخذ في الاملاء) .

الدكتور : لو أمكن ايقاف عجلة الزمن .. والتفكير قبل أن
يفوت الألوان ! .. أما هو فقد كان سيفكر : ماذا
سيكون مصير زوجتى ، ومصير ابنى ؟ أما هى فكانت
ستفكر : إذا اطلقت الرصاص فقد ضعت . لكن
عندما يصل هذا الانسان المسكين إلى أقصى حدود
العذاب يحرقه تيار رهيب ولا تبقى لديه رغبة الا في أن
يغلق عينيه .. دون أن يريد التفكير بما سيحدث فيما بعد .
السكرتيرة : سيحدث فيما بعد .

(يدخل الرجل والسيدة اللذان يرتديان سترة السهرة
من الجانب الايسر في نفس الوقت الذى يسمعان فيه
آخر كلمات الدكتور ، وبينما يشرعان في الحديث
ينظر اليهما الدكتور بأسى وحزن)

الرجل : (يقطع بلسانه لائما ويستنكر بهزات من رأسه) هذه اللعبة أصبحت غير نظيفة يادكتور .

السيدة : (تم نبراتهما عن اضطراب تحاول اخفائه ، مثلها في ذلك مثل الرجل) أتريد أن تحطم أعصابنا بهذه الحكايات الوهمية ؟

الرجل : انه يضطربنا إلى التدخل مرة أخرى .

السيدة : (إلى الجمهور) لا تعبأوا به أيها الأصدقاء ، فقد قلنا لكم ان هذه القصة مزيفة .

الرجل : ولو كان قد حدث شيء مثل هذا ، فلم يكن بهذا القدر من الشناعة ، فنحن نعرف أنه كثيرا ما يبلغ الانسان ويزيد في الكلام . . وربما فلتت منه « فشرة » . . . (يضحك هو نفسه لهذه الدعاية ، الدكتور يعطى اشارة فيدخل ممرض من الناحية اليسرى ويقرب من الزوجين ، من خلفهما) .

السيدة : لكنه لا ينبغي اثارة كل هذا الضجيج على شيء بسيط .

الرجل : الزموا الهدوء ، فنحن نوكد لكم أن الدكتور قد خدعكم

السيدة : (بأسى) ولا تفقدوا ابتسامتكم !

(يمسكهما الممرض من ذراعيهما وهما ينظران اليه باضطراب ، بينما يدفعهما برفق إلى الناحية الجانبية) .

الرجل : (بينما يقاوم الدفع ، يلتفت إلى الجمهور قائلا بحزن) لا تفقدوا ابتسامتكم !

(يجذبهما الممرض بطريقة أكثر جفافا ويخرج بهما من الباب الجانبي) .

الدكتور: وهكذا انتهت قصتي الأولى كما قد يتذكر القارئ
وكنت قد قررت أن أحكي قصتي الثانية أمام جماعة
من مرضى المصحة ، وعندما وصلت إلى اللحظة التي
صوبت هي فيها المسدس بجنون تدخل الزوجان اللذان
كان بطل القصة الأولى واتهماني بالكذب والحداع ،
ولم ينفع بشيء ما ذكرتهم به من أنهم كانوا جيرانا لهم
في المنزل ، بل أنهم اعتمدوا على وجه الدقة إلى هذا
السبب في تكذبي .. وفي اليوم التالي كتبت لهما بالخروج
من المصحة ، نعم ، ففي نهاية الأمر هل كنت أستطيع
أن أشخص حالتهما بأنها خلل عقلي لمجرد أنهما لا يعترفان
بحقيقة الأحداث التي رويتها لكم ؟ ففي عالمنا هذا
البالغ الغرابة ، لا زلنا لا نستطيع أن نصف هذا
الخلط المريب بأنه جنون ، فهناك ملايين مثلهم ، ملايين
الأشخاص الذين يقررون تجاهل العالم الذي يعيشون فيه ،
لكنه لا يخطر لأحد أن يسميهم مجانين .

السكرتيرة : مجانين .

الدكتور: وقد عاد كل من المرأة والرجل إلى حياته البسيطة وعندما
كانا يقابلان الحدة صدفة عند باب المنزل كانا يتظاهران
بالضحك ويتحدثان بصوت أكثر ارتفاعا .. أما بالنسبة
إلى الرواية الحالية فقد استطعت أن أكملها بفضل
ما صرح لي به زميل قديم كان يعمل طبيباً في القسم
السياسي ، لأنه هناك ، تحت الضغط العضوي يتكلم
اللحم .. حسنا ، فلنعد إلى قصتنا ! فقد أوشكت على
النهاية وينبغي أن نتمها . كان هذا يحدث في نفس

منتديات مكتبة الربيع

الأيام التي أطلق فيها بلدنا محطته الفضائية .
(يخرج كل من الدكتور والسكرتيرة من الجانب
الأيمن ، يعود الضوء ليغمر منزل عائلة بارنيس ، تنبعث
الحياة في ماري ودانييل) .

ماري : لا تتقدم خطوة واحدة !

دانييل : (بعينين مغرورتين) ماري ! .

ماري : عد اليهم ! . . فأنت ستعود معهم دائماً ، رئيسك
يعرف هذا ، وأنت أيضاً تعرفه ، لأنك تريد أن تعود ،
تريد أن تعود ! .

دانييل : لقد حذرني الدكتور ، باولوس خدعني ولن أشفى على
الاطلاق .

(ينظر إلى زوجته بامعان ذاهل ، يسترخي ذراعاها
ويتهدلان إلى جانبه وتنهمر دموعه على وجهه) .

ماري : أنت مسخ غريب ! .

(دانييل يتقبل الكلمة ، يغمض عينيه ويطأطأ رأسه) .

دانييل : ليس هناك مهرب ! .

(يفتح عينيه وينظر بعمق إلى زوجته وإلى ولده وإلى
المسدس) .

ماري : (صارخة) لا تتحرك ! .

(دانييل يبدأ مسيرته ببطء ، تعود ماري إلى الصراخ)
لا تقترب ! .

(لكنه يواصل التقدم دون أن يكف عن النظر إليها ،
بينما تصرخ هي مرة أخرى وقد وقعت فريسة لنوع

من الرعب الذى لا يمكن التحكم فيه ، تطلق الرصاص
في هذه اللحظة ، يقع دانييل وهو شبه باسّم ، ثم يتحامل
على نفسه ليقوم ويبذل جهدا للنظر إلى زوجته) .

دانييل : شكرا !

(تعود مارى لاطلاق الرصاص عليه ، يبكى الطفل
فتلقى مارى بالسلاح على الأرض ثم تأخذ في أرجحة
الولد وهى تنظر بعيون دهمها العذاب والرعب الى جسد
زوجها . . عند الرصاصة الثانية يبدأ ضوء غير حقيقى
في انارة المكتب كما تسمع من بعيد « لياى شوبن » ، تدخل
الجلدة على عجل من الجانب الايسر ، تنظر الى زوجة
ابنها والى المسدس وتهرع لتجثو الى جوار جثة ابنها) .

الجلدة : دانييل ! دانييل ! ولدى . . ولدى ! !

(تجهش بالبكاء ، وفي المكتب يفتح الباب المواجه
للجمهور ويدخل منه باولوس الذى يصل الى مكتبه ثم
يقف بلا حراك ومن خلفه يدخل بدوره كل من مارسان
وبوثر ولويني حيث يظلون جميعا بلا حراك ، تنهض
الجلدة وتنظر بحقد الى مارى قائلة) مجرمة ! . . غدارة !
(تقوم دون ان ترفع عينها عنها وتجري الى التليفون
حيث تطلب رقما ما بعصبية ، تعلقو نغمات البيانو بشكل
واضح بينما لا يدق اى جرس في المكتب ، لكن
باولوس يتناول السماعة وينصت ، تقول الجلدة شيئا
لا يمكن سماعه ثم تضع السماعة ، وكذلك يضع باولوس

السماعة ثم يشير الى مارسان وبوثر اللذين يهزان رأسهما علامة الموافقة ثم يشرعان في هبوط السلم المواجه ، ثم يشير الى لويخى الذى يهز رأسه ويهبط من السلم الأيسر ، مارسان وبوثر يعبران السلم الى المنزل ويتأملان جثة دانييل التى ينحنى عليها بوثر ليتأكد من انه فارق الحياة ، بينما يقترب مارسان من مارى ويلتقط المسدس من الأرض بمنديل في يده ثم يبتعد مشيراً اليها بأن تسير وهو يرمقها بنظرات لا يمكن تفسيرها .

في المكتب يعود لويخى الى الظهور من الجانب الايسر وهو يقتاد لوثيلا ، تسير مارى ببطء الى الناحية اليمنى ثم تتوقف امام الجلدة ، تقبل الطفل بحنان غامر ثم تسلمه اليها . بعد هذا تهبط من فوق المنصة وتبدأ في صعود السلم يسبقها بوثر ويتبعها مارسان . وبدون ان ينقطع لحن البيانو ينتقل الى عزف اغنية المهد لبرامز ، تجلس الجلدة على المقعد الكبير ثم تهدد الطفل وهى تبكى مختلسة النظر الى جسد ابنها المسجى .

الجلدة : (بصوت لا يكاد يسمع) كان يا ما كان . . ولد

صغير ، اجمل من الشمس ، اسمه دانييليتو . . ودانييليتو كان جميلاً جداً وطيباً للغاية . . وكانت له أم تعبه ، وتخطبه قائلة : ولدى دانييليتو سيكبر ويصبح قويا مثل الربان في السفينة . . ودانييليتو يتسم . . ولانه غاية في الطيبة فسيحبه الجميع ويصيرون اصدقاءه . . ودانييليتو يتسم . . .

(في هذه الاثناء تصل ماري الى أعلى ، تتبادل نظرة عميقة مع لوثيلا ثم تدير كل منهما وجهها الى الجمهور وهي تنظر الى الفراغ كأنها تتأمل مصيرها ، بينما تحيطهما وجوه الرجال الصلبة التي لا تريم ، يخيم الظلام على المسرح كله فيما عدا حزمة من الضوء تنير وجه ماري وشعاعا آخر خفيفا يقع على المقعد الحجري الفارغ بين هذه الظلال تسمع كلمات الجدة الاخيرة وتظل أنغام البيانو تنبعث حتى يسقط .

الستار

★ ★ ★

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١ - مقدمة المسرحية (٥)	
٢ - مسرحية « القصة المزدوجة للدكتور بالمى » ... (٢٣)	
٣ - وصف المنظر (٢٧)	
٤ - شخصيات المسرحية (٢٩)	
٥ - الفصل الاول (٣١)	
٦ - الفصل الثانى (١١٧)	

منتديات مكتبة العرب

<http://www.library4arab.com>

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١ -	ماتويل چاليتش	سمك عسر الهضم
٢ -	چان آنوى	القبيرة (چان دارك)
٣ -	هال بودر	البرج
٤ -	تساو يو	عاصفة الرعد
٥ -	هارولد بثر	١ - الخادم الاخرس
		٢ - التشكيكة او مرض الازياء
٦ -	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧ -	تيرانس راتيچان	الاسكندر المقدونى او قصة مفامرة
٨ -	نيرى مونييه	سباق الملوك
٩ -	جون مورليم	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠ -	فريدريش دورنيما	النيزك
١١ -	يونسكو - اداموف - اربال -	دراما اللامعقول
	البى	
١٢ -	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ١
		١ - مس جوليا
		٢ - الاب
		عطيل يعود
		انشودة انجولا
		تواضعت فظفرت
		(من الاعمال المختارة) مولير - ١
		● مدرسة الزوجات
		● نقد مدرسة الزوجات
		● ارجالية فرساي
		عسكر وحرامية او نيد كيلي
		العين بالعين
		(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٢
		الطريق الى دمشق - لالية
		١٤ يوليو
		شجرة التوت
		روس او لورانس العرب
		حلاق اشبيلية
١٧ -	دوجلاس ستيوارت	
١٨ -	وليم شكسبير	
١٩ -	اوجست سترندبرج	
٢٠ -	رومان رولان	
٢١ -	انجس ويلسون	
٢٢ -	تيرانس راتيچان	
٢٣ -	كارون دى بورمارشيه	

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٤ -	وليم شكسبير	هاملت
٢٥ -	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦ -	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ١
		نساء تراخيس
٢٧ -	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسل - ١
		١ - رجل الله
		٢ - القلوب النهمه
٢٨ -	اتريكي خارديل بونشيل	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩ -	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٢
		١ - الاقوى
		٢ - الرباط
		٣ - الجرائم انواع
		٤ - موسيقى الشبح
		اصطياد الشمس
٣٠ -	بيتر شافر	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة - ١
٣١ -	جورج شحادة	١ - حكاية فاسكو
		٢ - السيد بوبل
		انتصار حورس
٣٢ -	ه . و . فرمان	(من الاعمال المختارة)
٣٣ -	جورج برنارد شو	جورج برنارد شو - ١
		١ - بيوت الارامل
		٢ - العايب
٣٤ -	فرناندو اربال	ثلاث مسرحيات طليعية
		١ - قرافة السيارات
		٢ - فاندو وليز
		٣ - الشجرة المقدسة
٣٥ -	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢
		١ - اوديب الملك
		٢ - اوديب في كولون
		٣ - اليكترا
٣٦ -	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو - ١
		١ - اليكترا
		٢ - لن تقع حرب طروادة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٧ -	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو-١ ١ - المغنية الصلحاء ٢ - الدرس ٣ - جاك أو الامتثال ٤ - المستقبل في البيض ٥ - الكراسي
٢٨ -	كوبر - تشيرشل - شارب - بيرمانج	مسرحيات اذاعية
٣٩ -	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسل -٢ ١ - روما لم تعد في روما ٢ - المحارب المقيء او (مصباح النعش)
٤٠ -	انطون تشيخوف	١ - شيطان القابة ٢ - الخال فاتيا
٤١ -	جورج شعادة	(من الاعمال المختارة) جورج شعادة - ٢ ١ - مهاجر برمسبان ٢ - البنفسج
٤٢ -	لويجي برانديلو	(من الاعمال المختارة) لويجي برانديلو - ١ ١ - ديانا والنال ٢ - الحياة عطاء ٣ - لذة الامانة
٤٣ -	جيمس جويس	١ - ستيفن « د » ٢ - منفيون
٤٤ -	اوجست سترندبرج	من الاعمال المختارة - سترندبرج - ٤ ١ - الفرما ٢ - الاميرة البيضاء ٣ - عيد الفصح
٤٥ -	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢ ١ - انتيجونة ٢ - اجاكس ٣ - فيلوكتيت

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٦ -	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو - ٢ ١ - سدوم وعمورة ٢ - مجنونة شايو
٤٧ -	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ٢ ١ - ضحايا الواجب ٢ - مرتجلة الما ٣ - سفاح بلا كراه
٤٨ -	جبريل مارسيل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسيل - ٢ ١ - طريق القمة ٢ - العالم المكسور
٤٩ -	البي - شيزجال	١ - الحلم الأمريكى ٢ - الطابعان على الآلة الأرض كروية
٥٠ -	أرمان سالاكرو	
٥١ -	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) برنارد شو - ٢ ١ - السلاح والانسان ٢ - كاتيدا ٣ - رجل المقادير الحارس
٥٢ -	هارولد بنتر	ابن أمية أو ثورة الموديسكيين
٥٣ -	مارتينس دى لاروزا	ماساة كريولانس
٥٤ -	وليم شكسبير	القصة المزدوجة للدكتور بالى
٥٥ -	انطونيو بويرو	

منتديات مكتبة العرب

<http://www.library4arab.com>

منتديات مكتبة العرب

<http://www.library4arab.com>

في العمد والعتاد

**الكترا
اورستيس**

تأليف : يوريبيديس

يوريبيديس مؤلف هاتين المسرحيتين ، هو ثالث شعراء المأساة اليونانية الكبار بعد ايسخيلوس وسوفوكليس . ولد سنة ٤٨٥ ق.م ومات سنة ٤٠٧ ق.م . دخلت مسرحياته مهرجان ديونيزوس لأول مرة عام ٤٥٤ ق.م . قضى خمسين سنة في كتابة المسرحيات . وفاز بالجائزة الاولى خمس مرات ، كانت خامسها بعد وفاته .

واذا كان كل من ايسخيلوس وسوفوكليس يمتاز على يوريبيديس في ابداع «فن» المأساة ، فمما لا شك فيه ان يوريبيديس كان ابعد منهما تأثيرا في الكتاب من بعده عبر العصور - وخصوصا شيكسبير الذي تأثر به تأثرا عميقا - وفي الاجيال المتعاقبة بصفة عامة على مر الزمان ، لقربه اكثر من طبيعة الانسان ونوازع ، الانسان العادي على العموم .

وقد قدمت مسرحيته **الكترا** على المسرح سنة ٤١٣ ق.م . وعرضت « اورستيس » سنة ٤٠٨ ق.م .

وتعرض مسرحية **الكترا** لموضوع انتقام اورستيس واخته الكترا من امهما كليتمنسترا وعشيقتها ايجستوس لقتلهما اباهما اجاممنون عقب عودته منتصرا في حرب طروادة ، وما تنحسر عنه موجة الانتقام من ندم لقتلهما امهما التي حملتهما واخرجتهما الى هذا الوجود .

وتتعرض مسرحية **اورستيس** - التي تدور احداثها بعد ايام من مقتل ايجستوس وكليتمنسترا - لمحاكمة الاخوين والحكم باعدامهما ومحاولتهما اليائسة للخلاص او تدمير اعدائهما معهما جميعا .

وتتميز **الكترا** بالصدام الدموي الفاجع . بينما يتمثل في اورستيس اشد ما يتميز به يوريبيديس من براعة في تصوير الحب الاخوي والجموح ونوبات الجنون .

في هذا العدد

القصة المزدوجة للدكتور بالي انطونيو بوירו بايخو

« انطونيو بوירו بايخو » (المولود في مدينة « وادي الحجارة » سنة ١٩١٦) يقف على رأس مرحلة جديدة في تاريخ المسرح الاسباني المعاصر منذ أن أخرج في سنة ١٩٤٩ مسرحيته قصة سلم - التي ستنتشر في وقت لاحق بالسلسلة - وهو مؤلف بدأ حياته رساما ولكن الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ - ١٩٣٩) قطعت عليه دراسته فاشترك في أحداثها محارباً في صفوف الجمهوريين حتى انتهى ذلك الصراع بهزيمة الفريق الذي كان مؤلفنا ينتمي اليه ، فقبض عليه وحكم عليه بالاعدام ثم خفف بعد ذلك الى السجن حيث قضى سنوات سبعة خرج بعدها في سنة ١٩٤٦ ليمارس الكتابة المسرحية ، وفي هذا الميدان برز بايخو باعتباره اليوم واحدا من اكبر الكتاب الطليعيين .

ومسرح بايخو غني متنوع يدور جانب منه حول الطبيعة الانسانية في اطار ما تتصل به وتتفاعل معه من مشكلات اجتماعية وسياسية ، والى هذا النوع من المسرح الذي يقدم لنا وثيقة اجتماعية من الطراز الاول تنتمي مسرحية **القصة المزدوجة للدكتور بالي** ، والمؤلف فيها ملتزم بقضية محددة هي حق الانسان في ممارسة حريته الفردية والاجتماعية بغير ضغط ولا اهراب ، وذلك من خلال ادانة اعمال التعذيب السياسي .

وهو يقدم لنا هذه المشكلة في جذورها التاريخية العميقة دارسا اسبابها النفسية ومستنفدا كل ما يمكن ان يقال في تبرير التعذيب منتهيا الى أن مثل هذه الاعمال لا تقضى على ضحاياها فقط وانما على مرتكبيها ايضا .